The French Colonial Strategy in the Algerian Desert

Dr. Khireddine Youssef Chatra
Professor of Modern History, Department of History and Islamic Civilization-University of Sharjah

kchatra@sharjah.ac.ae

DOI: 10.31973/aj.v1i138.1120

Abstract:

The French colonial expansion in the Algerian desert is considered a pivotal point in the modern history of that area. This is mainly because the ultimate goal of the French was to separate north Algeria from the southern provinces. This explains placing the south under a special military administration, which served other colonial purposes such as facilitating the expansion into West Africa, and linking the various French colonies in the region even though the geopolitical context of the area did not support such tactics.

This paper reviews the European, and particularly the French, exploratory, political, economic and missionary ventures in the Algerian deserts both before and after the French colonization. It also discusses the colonial and strategic motives for the French attempts to dominate this particular area as well as the stages, characteristics, and impact of this expansionist venture.

The researchers propose that at present, France still adopts the same practice of using the anthropological, natural, and economic environment of any given state in order to achieve its political and economic goals.

The paper concludes that the French administration was certain that its existence in Algeria, and its ability to hold on to its colonies in West and Sub-Saharan Africa, was determined by its dominance of the Algerian desert. In addition, this paper proposes that contemporary French foreign policy towards these African states has remained significantly unchanged.

Key words: Algerian desert, the Sahara Desert, French colonization, French colonization of Algeria

الاستراتيجية الكولونيالية الفرنسية في إخضاع الصحراء الجزائرية

د. خير الدين يوسف شترة
أستاذ التاريخ الحديث بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية– جامعة الشارقة
kchatra@sharjah.ac.ae

(مُلَخَّصُ البَحث)

إن من أهم المراحل المفصلية في التاريخ الحديث للصحراء الجزائرية هي مرحلة التوسع الاستعماري الفرنسي لأن السياسة الفرنسية في الصحراء كانت تقوم من بدايتها إلى نهايتها على مبدأ فصل الجنوب الجزائري عن شماله، وما إخضاعه لنظام إداري عسكري مميز إلا لأجل تحقيق هذه الغاية، فضلا عن غايات أخرى كتسهيل التوسع في أفريقيا الغربية، وتحقيق منافذ إستراتيجية لربط القطاعات الاستعمارية الفرنسية مع بعضها ووفقا لمبررات ودواعٍ لا يقرها الواقع الجيوبوليتيكي للمنطقة.

ويتناول هذا البحث مجمل المشاريع الاستكشافية والسياسية والاقتصادية والتنصيرية الأوربية منها والفرنسية في الصحراء الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي لها وبعده، كما يتطرق إلى دوافع الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية في إخضاع الصحراء الجزائرية وأهم مظاهرها وتجلياتها وأبعادها وأطوارها وأهدافها، وانعكاسات هذه الاستراتيجية على فرنسا المستعمرة ثم على المنطقة ككل.

ويفترض البحث أن فرنسا كانت ولا زالت تعتمد نفس خطوات وأبعاد وأطوار وأهداف الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية القديمة المبنية على الإستغلال الشامل لكل المعطيات الأنثربولوجية والطبيعية والاقتصادية في إخضاع الأقطار المستهدفة، من أجل تحقيق منفعتها السياسية ودعم اقتصادها ونفوذها.

وبعد البحث والتقصي توصل البحث إلى نتائج عدة ،منها أن فرنسا كانت مقتنعة أن ضمان استمرارها في شمال الجزائر مرهون بالسيطرة على صحرائها من جهة، ولضمان هيمنتها على غرب افريقيا وأفريقيا جنوب الصحراء لابد لها من السيطرة على الصحراء الجزائرية من جهة أخرى. كما استنتجنا أن السياسة الفرنسية لا زالت قائمة على دوافع وغايات الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية القديمة في إخضاع حكومات أقطار الصحراء الأفريقية الكبرى على الرغم من انفصالها السياسي عنها منذ نصف قرن أو يزيد.

الكلمات المفتاحية: الصحراء الجزائرية، الصحراء الأفريقية الكبرى، الاستعمار الفرنسي، الاستعمار الفرنسي للجزائر

المقدمة:

أ- أهمية البحث:

إن من أهم المراحل المفصلية في التاريخ الحديث للصحراء الجزائرية هي مرحلة التوسع الاستعماري الفرنسي لأن السياسة الفرنسية في الصحراء كانت تقوم من بدايتها إلى نهايتها على مبدأ فصل الجنوب الجزائري عن شماله وما إخضاعه لنظام إداري عسكري مميز إلا لأجل تحقيق هذه الغاية، فضلا عن غايات أخرى كتسهيل التوسع في أفريقيا الجنوبية، وتحقيق منافذ إستراتيجية لربط القطاعات الاستعمارية الفرنسية مع بعضها وفقا لمبررات ودواعٍ لا يقرها الواقع الجيوبوليتيكي للمنطقة، ونلمس هذه السياسة فيما اتبعته فرنسا من حملات عسكرية وجهتها إلى أنحاء البلاد بما فيها الصحراء الجزائرية، وفيما قامت به من ملاحقات واعتقالات في حق من عارض هذه السياسة، وبجانب هذه الحملات العسكرية، كان الاهتمام العلمي والاستكشافي والتبشري الفرنسي هو الآخر كبيرًا بالصحراء.

ذلك أن احتلال فرنسا للصحراء ينسجم مع رغبتها في أن تربط الجزائر عبر صحرائها بمستعمراتها في إفريقيا الغربية، ولا سيما بمالي الذي احتلته في سنة ١٨٨٠م، والسنغال الذي استقر لها الأمر فيه منذ سنة (١٨٥٦- ١٨٥٧) م، فالصحراء الجزائرية بمساحتها البالغة اثنين مليون (٠٢ كلم^{٢}) لم تكن لتُمثل إلا نصف الصحراء التي تسعى الكولونيالية الفرنسية إلى الهيمنة عليها والبالغ مساحتها أربعة ملايين (٠٤ كلم^{٢}) والتي كانت تشمل فيما تشمل صحراء كل من تشاد والنيجر ومالي وموريتانيا. ويكفي أن نلقي نظرة على الخريطة السياسية لإفريقيا لندرك شساعة هذه المساحة وأهميتها الحيوية والإستراتجية، فمن الناحية السياسية نجد أن للصحراء "الفرنسية" -بحسب وجهة نظر التيار الكولونيالي- حدودًا مع أكثر من ثمانية بلدان أفريقية، ومن يتحكم في هذا الفضاء الجغرافي سيتحكم بالتالي مستقبلاً في مصير أفريقيا ككل، أما من الناحية الاقتصادية ولا سيما بعد أن خَطَت الأبحاث الجيولجية والجيوفيزيائية خطوات عملاقة في دراسة هذه المناطق، فإن الصحراء لم تعد عند الفرنسيين عبارة عن مساحات لا متناهية من الرمال، بل هي شيء آخر ثمين، يتمثل بموارد باطنية، معدنية وطاقوية لها أهميتها مستقبلاً، ثم هي بعد كل ذلك من وجهة نظر عسكرية، رقعة إستراتيجية حساسة، فهي بشساعتها وقلة سكانها ميدانًا مثاليًا لاختبار الأسلحة الحديثة كالقنابل النووية والذرية والصواريخ بعيدة المدى، ولا سيما ما يتعلق بدولة تبحث لنفسها عن مقعد بين " الكبار "، ومن هنا تكمن أهمية البحث في تسليطه الضوء على دوافع وغايات الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية في إخضاع الصحراء الجزائرية والتي لا زالت ليوم الناس هذا تسير عليها في تعاملها مع حكومات أقطار الصحراء الأفريقية الكبرى على الرغم من انفصالها السياسي عنها منذ نصف قرن أو يزيد.

ب-إشكاليات البحث:

إن الأسئلة الجوهرية التي سنعمل على حلحلتها ومناقشتها ومن ثم الإجابة عنها في هذا البحث هي: ما المشاريع الاستكشافية والسياسية والاقتصادية والتنصيرية الأوربية منها والفرنسية في المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي لها وبعده؟ ثم منذ متى كان الاهتمام الغربي بالصحراء الجزائرية؟ ومن ثم هل كان اهتمامًا سياسيًا أم اقتصاديًا أم عقائديًا؟ وما دوافع الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية في إخضاع الصحراء الجزائرية وأهم مظاهرها وتجلياتها؟ وما أبعادها وأطوارها وأهدافها؟ وما انعكاسات هذه الاستراتيجية على فرنسا المستعمرة ثم على المنطقة ككل؟ وهل هناك مواقف وردود فعل دولية ومحلية تجاه هذه المشاريع؟

ت-فرضية البحث:

تفترض الدراسة بالاعتماد على جملة المصادر الأولية أن فرنسا كانت ولا زالت تعتمد نفس خطوات وأبعاد وأطوار وأهداف الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية القديمة المبنية على الإستغلال الشامل لكل المعطيات الأنثربولوجية والطبيعية والاقتصادية في إخضاع الأقطار المستهدفة، من أجل تحقيق منفعتها السياسية ودعم اقتصادها ونفوذها. فقد وظفتها في احتلال أقطار الصحراء الأفريقية الكبرى، ولا زالت توظفها في بسط هيمنتها على سلط وحكومات أقطار الصحراء الكبرى في عصرنا الحالي.

ث-المنهجية المتبعة في البحث:

تقوم منهجيّة البحث على المنهج التاريخي التحليلي والذي من خلاله عملنا على استرجاع واسترداد معطيات الماضي لنتحقق من مجرى وسير الأحداث، ولنُحلل جملة المشكلات البحثية التي طرحناها فيما سبق بهدف تعقّب الظاهرة ومتابعتها تاريخيًا، من خلال سرد الجغرافيــة البشرية والطبيعية والإقتصادية للصحــراء الكبرى الجزائرية والمراحل التاريخية التي مرت بها، وكذا سرد مظاهر عمليات إخضاع الصحراء الجزائرية من منظور الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية التي وضعت سلفاً، ومراجعتها من خلال مصادرها المختلفة التي استندنا عليها، مع تحليل البيانات والمعلومات المتعلقة بها، وكذا عرض النتائج للنقد والتحليل للتعرف على مصداقيتها ودقتها، بهدف استخراج المفاهيم الدراسية والنصوص المنهجية من مصادرها، معتمدين في ذلك على التحليل الفكري والمعرفي القائم على معرفة أنماط الدراسات المختلفة، وهو ما سيساعد على فهم المحتوى الذي نقوم بدراسته.

ج- الخطة المتبعة في البحث:

وللإحاطة بالموضوع من كل جوانبه قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث أساسية هي: الجغرافيــة البشرية والطبيعيــة والإقتصــادية للصحــراء الكبرى الجزائريــة، وأهم محــاور

الإستراتيجية الإستعمارية الفرنسية في إخضاع الصحراء الجزائرية، وأخيراً مظاهر عمليات إخضاع الصحراء الجزائرية من منظور الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية.

أولاً: الجغرافيـــة البشرية والطبيعية والإقتصادية للصحـــراء الجزائرية

تمهيد:

كانت مدن وحواضر الصحـراء الجزائرية إلى مطلع القرن التاسع عشر ميلادي مراكز علمية وحضارية ذات أبعاد ثقافية عبَّرت من خلالها عن الهوية العربية الإسلامية للمنطقة ككل، كما عبرَّت أيضًا عن إسهاماتها المتعددة في بناء العلاقات المغاربية – الإفريقية بما عرفته من نظم اقتصادية واجتماعية وثقافية ولربما حتى سياسية؛ فالصحـراء الجزائرية بموقعها الاستراتيجي المميز كانت تُمثل حينذاك حلقة الوصل المهمة بين شمال أفريقيا وأوروبا وبين السودان الغربي، وبحكم ذلك اسهم الإقليم بدور مهم في أسلمة إفريقيا الغربية ونشر الثقافة العربية وإقامة علاقات وطيدة مع دول وشعوب غرب إفريقيا، فالعلاقات بين الطرفين علاقات قديمة نظرًا للتقارب الجغرافي الموجود والاحتكاك المتزايد بفضل انتشار الإسلام واتساع مجال المعاملات التجارية.

إذن فالصحراء الجزائرية على الرغم من شساعتها فقد مثَّلت وفقا للإستراتيجة الفرنسية الصلة الأقرب بين الشمال والجنوب، فقد كانت بحسب منظور الكولونيالية الفرنسية عاملاً قويًا في تشجيع حالة الاتصال السياسي والثقافي والاقتصادي بين الضفتين، كما أن العامل الديني المتمثل في الإسلام زادها صلابةً وتماسكًا وترابطاً عائلياً واجتماعياً، ومن ثم قويت لحمة التواصل الحضاري بعد إنتشار الإسلام بها.

ومهما قيل في تحديد الصحراء الجزائرية جغرافياً فإن: «موقعها كان يُعد بالنسبة للمستعمر الفرنسي موقعاً استراتيجياً ذا أثر بالغ في علاقاتها الثقافية والحضارية بمختلف المناطق الأفريقية المحاذية لها» **(حوتية (محمد الصالح)، (٢٠٠٧م)، ص١٤٤)**، ويتلخص هذا الأثر الجغرافي في سهولة التواصل عن طريق مرور القوافل لمختلف الأغراض الحياتية، وكذا تشابه الثقافات وتداخل العلاقات الاجتماعية. وبناء على ما سبق عمل الفرنسيون طوال احتلالهم لمنطقة غرب إفريقيا على الإستماتة في الإحتفاظ بالصحراء الجزائرية لأهميتها الإستراتيجية (جغرافياً واقتصادياً وسياسياً وحتى دينياً)، إذ تجلى ذلك في محاولاتهم المتكررة لإحتلال هذا الجزء من الجزائر طوال المدة (١٨٤٧-١٩١٦) م، على الرغم من المقاومة الشرسة من الأهالي الجزائريين، وعلى الرغم من التكلفة المادية والبشرية الباهظة التي دفعتها الإدارة الفرنسية.

كما تجلت استماتتهم هذه من خلال مفاوضات إستقلال الجزائر مع قيادة الثورة الجزائرية والتي استمرت من عام ١٩٥٦م مع حكومة غي مولي (Guy Molly) في الجمهورية الرابعة

إلى عام ١٩٦٢م مع حكومة شارل ديغول (Charles de Gaulle) في الجمهورية الخامسة، وكانت قضية فصل الصحراء الجزائرية هي القضية الخلافية الكبرى مع المفاوض الفرنسي وبسببها كانت تصل محاولات حل المسألة الجزائرية إلى طريق مسدود، وحتى بعد اتفاق ايفيان الشهير القاضي بوقف إطلاق النار في ١٩ مارس ١٩٦٢م؛ إلا أن المفاوض الفرنسي تمكَّن من افتكاك تنازلٍ مهمٍ يخص الصحراء الجزائرية من قيادة الثورة الجزائرية، «حيث سمحت الإتفاقية باستمرار التجارب النووية الفرنسية في الصحراء إلى غاية سنة ١٩٦٦م، وهي السنة التي تمت فيها تجربة قرينات(Grenat) في ١٩٦٦/٠٢/١٦م بجبل تاوريرت أفيلا» **(المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر(م.و.د.ت.ح.و)، (٢٠٠٠م)، ص٤٠).**

لقد عبّر الكثير من الساسة الفرنسيين عن تمسّكهم بالصحراء الجزائرية إذا ما استحال عليهم حل القضية الجزائرية، هذا الحرص البالغ لم يكن عبثاً بل فرضته عليهم دوافع وأسباب عديدة من بينها كما ذكرنا سلفاً الأسباب الاقتصادية المتمثلة في أن الصحراء قد أصبحت كنزاً لا يُقدر بثمن بعدما أُكتُشف ما بباطنها من بترول وغاز ومعادن.

وعلى الرغم من أهمية هذا العامل الاقتصادي إلا أن الأسباب العسكرية والإستراتيجية كانت أقوى وأدعى بأن تؤخذ بالحسبان، إذ إنه وبعد الحرب العالمية الثانية تخوّف العالم أجمع مما تُخفيه حروب أخرى يمكن أن تحدث مستقبلاً، وحاول كل بحسب قدرته أخذ عدته، «وكانت أوروبا أكثر تخوّفًا من أن يحطّم الإتحاد السوفيتي مصانعها ومخازنها العسكرية بسهولة نظرًا لتجمعها في مساحة ضيّقة ولكثافتها بالسكان، هذه الأوضاع توازنت مع طموح فرنسا في الانظمام إلى النادي النووي والسعي إلى ريادة أوروبا فوجدت في الصحراء الجزائرية خير قاعدة لترسانتها ومشاريعها العسكرية، فوضع ساستها برنامجاً لإقامة قواعد عسكرية–إقتصادية فيها»(**Le Monde. 1960 .14 et 15 Février**)؛ أطلق على هذه المراكز إسم "مناطق التنظيم الصناعي الإفريقي" (Z.O.I.A) «واختيرت لها كمقر منطقة كولومب بشار، وكان الهدف الحقيقي طبعاً هو وضع أسس ثابتة لصناعات حربية خطيرة في إفريقيا، ولقد تأكد الطابع العسكري لهذه المناطق، رغم إسمها الاقتصادي بعد إنشاء "المكتب الإفريقي للدراسات والأشغال الصناعية العسكرية" وينص القانون الأساسي لهذا المكتب على تدخل الجيش الفرنسي في بناء ومراقبة كل المعامل التي تُبنى بهذه المناطق» **((م.و.د.ت.ح.و) ، (٢٠٠٠م) ، ص٢٣).**

وباستقلال المغرب وتونس ودول المجموعة الإفريقية؛ حصر الفرنسيون كل جهودهم في الصحراء الجزائرية لأن شساعتها توفر شروط الحرب الحديثة، ولديها من الثروات المعدنية والبترولية ما يُمكّن من إقامة صناعات حربية ثقيلة، فضلا عن هذا فإن عزلة الصحراء

ستمكّن فرنسا من إقامة تجاربها في سرية تامة، وبهذا كانت الصحراء الجزائرية أرضًا خصبة مساعدةً فرنسا على القيام بما وصلت إليه من علم في هذا الميدان، إذ حوَّلتها إلى فضاء لمختلف التجارب النووية السطحية والباطنية الأمر الذي جعلها مستودعًا للنفايات المشعة التي لا زال العديد من الجزائريين يعاني آثارها إلى يومنا هذا ، ذلك أنه وبعد رحيل القوات الفرنسية من قاعدة التجارب الفرنسية النووية، وضعت حفرًا عميقة جداً وكدَّست بها كامل المعدات والآلات المستعملة في تنفيذ الأشغال الثقيلة والنفايات من مواد كيمياوية وبيولوجية وباكتيريا ومواد إشعاع.

ويبين لنا الصحفي الفرنسي قوستاف مرسيه (Gustave Murcia) أبعادًا أخرى للاهتمام الفرنسي بالصحراء وعلى النحو الآتي : « أن نجعل من الصحراء أرضًا وطنية كما جعلت أمريكا من آلاسكا أرضًا وطنية فإن ذلك سيسمح لمهندسينا ومختصينا في البحث المنجمي والري والزراعة أن يطبّقوا علمهم، وأن يُنمّوا روحهم الإبداعية الخلاّقة في هذه البراري الشاسعة والخالية، التي من المؤكد أنها تحتوي على ثروات مجهولة، كما أن ذلك سيسمح لنا أيضًا وفي نفس الوقت بفتح تجربة مثيرة وخلاّبة لحيويتنا الوطنية... لكن يجب أولا وقبل كل شيئ إلغاء هذا التقسيم الإداري لهذه المناطق الشاسعة، التي تمثل جغرافيًا وطبيعيًا كُلا لا يتجزأ...نحن الذين فتحنا الصحراء ونشرنا فيها السلم، بحيث يجد المسافر فيها نفسه في أمن أكبر مما لو كان في شوارع باريس ولندن. إن مسألة الصحراء لا تعني أحدًا غيرنا، فهي شأن داخلي بحت. ولسنا ملزمين في ذلك بمراجعة أحد» (**Hommes et Mondes, n°61, août 1951 p. 441**).

١. الجغرافيـــة البشرية والطبيعية للصحـــراء الجزائرية:

لقد حملت العناصر التي استوطنت إقليم الصحراء الكبرى الإفريقية معتقداتها الدينية معها، فانتشر الإسلام في الجهات الداخلية والشمالية والمسيحية في غالبية المناطق الساحلية، فضلا عن وجود قبائل تؤمن بالوثنية، وبالإجمال فإن ظاهرة التخلف تكاد تشمل جميع دول المنطقة بنسب مختلفة **(دافيدسون، (١٩٦٣م)، ص١٨٣. راجع في هذا الخصوص: – مؤلف مجهول، (١٩٠١م) – محمد عوض، (١٩٦٥م))**.

ومن ثم فإن شعوب الصحراء الكبرى هي مزيج من الجماعات والقبائل التي أتت من الخارج وامتزجت مع السكان القاطنين فيها، وقد وجدت فرضيات عدة بشأن الوطن الأول لأصول إنسان إقليم السودان الغربي، ومؤداها أن إفريقيا الشرقية ووادي النيل كانا في عهود بعيدة المنطلق الأول لإعمارها متابعة إلى غرب إفريقيا عن طريق تشاد أو الصحراء الكبرى. يقول "دينز بولم"(Denise Bullm): «أيَّنْ كان الظرف الزمني الذي ظهر فيه سود إفريقيا، وتكاثروا فلم يكن بداً من التسليم بأنهم خالطوا رجالاً من الصنف الأبيض أصلهم من إفريقيا

الشرقية أو من الشرق الأدنى، أو من أجداد البرابرة» **(بول(ديمز)، (١٩٨٢م)، ص ٢٣)**، «معتمدين في رأيهم على التقارب في الأصول اللغوية، والكلمات المشتركة بين بعض اللغات الإفريقية» **(Comerrin (R.), (1965), V2, P 9)**.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نميز في الصحراء الكبرى سلالتين: السلالة الأولى هي السلالة البيضاء، التي تركزت في الحدود الشمالية للصحراء الكبرى الغربية، وهم خليط من العرب والبربر **(ذهني (إلهام محمد علي)، (١٩٨٨م)، ص ١٩. - للتوسع يراجع: إسماعيل (العربي)، (١٩٨٣م)، ص.ص(١٧٣-١٧٤). - - قداح(نعيم)، (ب.ت)، ص ٢٠)**، وأما السلالة الثانية فهي السلالة السوداء أو الزنجية؛ فقد وصفهم الإصطخري بقوله: «بلد السودان يكون بها الناس أشد سوادًا» **(الاصطخرى (أبو القاسم ابراهيم الكرخي)، (١٩٢٧م)، ص ٣٦)**، وهو بذلك فيما ذهب إليه "دينز بولم" حين وصفهم بأنهم: «كبار الأجسام فارعو القدود، أصحاب جلود شديدة السواد، وفكين يشكو الفم منهما طولاً ملحوظًا» **(بول(ديمز)، (١٩٨٢م)، ص ٢٦. للتوسع يراجع: - محمد فاضل (علي باري) - وسعيد (إبراهيم)، (٢٠٠٧م)، ص.ص(٢٥-٢٦) - الفاعوري (داود علي فاضل)، (١٩٨٩م)، ص ٢٥٦- ولد السالم (حماه الله)، (٢٠٠٨م)، ص.ص(١٦٩-٢١٥))**.

ولا يمكن دراسة الحياة الثقافية والاجتماعية لمنطقة الصحراء الكبرى بمعزل عن الحياة الدينية لشعوبه ،إذ تُعد هذه الأخيرة منطلقاً لدراسة الأولى، وهو ما عبّر عنه دولافوس (Dolafoss) في قوله: «ما من نظام يشاهد بين قبائل إفريقيا السوداء، سواءً أكان نظاماً اجتماعيًا أو ثقافيًا أو اقتصاديًا،... إلا وهو يرتكز على فكرة دينية» **(قداح(نعيم)، (ب.ت)، ص ٠٩)**، وقد كان أثر الإسلام بارزًا أكثر في الحياة الثقافية والاجتماعية، ويرجع السبب في ذلك إلى كون الدين – أينْ كان نوعه- جزءا من ثقافة المجتمع هذا الأخير الذي تُعبر عنه عاداته وتقاليده ولغته...«وبصورة واضحة عمًّا يدين به شعبه، وتظهر ملامح الإسلام جلية في معتقدات أهل الصحراء الكبرى وعاداتهم، فبعد الجهود التي بذلها المرابطون في أسلمة زعماء قبائل التكرور، والماندنجو الزنجية حيث أرسلوا إليهم العلماء لتثقيفهم، وتلقينهم المبادئ الإسلامية فنشطت بذلك العلاقات الثقافية بين إقليم الصحراء الكبرى، وبقية مناطق العالم الإسلامي» **(حلاق (حسن)، (٢٠٠٠م)، ص٣٩٣)** مما أدى إلى انتشار اللغة العربية، وفي هذا يقول توماس أرنولد: «بلغت اللغة العربية حدًا يفوق الوصف، بل إنها أصبحت لغة التخاطب بين قبائل القارة السوداء، وهي إلى ذلك لغة الشريعة المكتوبة، وهذا تقدم هائل للحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا» **(دياب (أحمد إبراهيم)، (١٩٨١م)، ص٩٧)**.

لقد كان للمجتمع القبلي في الصحراء الكبرى عادات وتقاليد خاصة به صنَّفها ابن بطوطة إلى عادات حسنة، وأخرى سيئة(**ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)، (٢٠١٧م)، ص.ص.(٦٩٠-٦٩٣)**) ولم تقتصر عادات وتقاليد مجتمع الصحراء على ما ذكر، بل كانت هناك عادات أخرى مثل: بيع الأطفال ورهنهم، وعادات خاصة بالزواج والطلاق،...إلخ(**للتوسع ينظر: زناتي(محمد سلام)، (١٩٩٨م)، ص ١١٩ وما بعدها)**، ومن الأهمية بمكان التأكيد على ما بلغه الإسلام من قوة التأثير في مناطق الصحراء الكبرى من الوجهة السياسية، فبالنظر إلى ملامحه السابقة الذكر نجد أنه أعطاها الصبغة الإسلامية، وجعلها امتدادًا للعالم الإسلامي، ولذلك كان السقوط والانهيار لممالكه نتيجة حتمية لتخليها عن بعض تعاليم الإسلام، وينطبق القول هنا خاصة على مملكة (مالي) إذ نذكر أن: «من أهم أسباب سقوطها تفشي سوء الأخلاق بين الموظفين الكبار، فضلاً عن انغماس الحكام في الملذات للازدهار الذي بلغته هذه المملكة»(**زبادية(عبد القادر)، (١٩٨٩م)، ص ١٩)**.

ومما اسهم في صبغ ثقافة حواضر الصحراء الكبرى بالصبغة الإسلامية انتقال العديد من علماء حواضر المغرب الإسلامي إليهم في العصور الوسطى، ويذكر صاحب كتاب (تعريف الخلف برجال السلف) عدداً معتبراً ممن قاموا بهذا الدور (**الحفناوي (أبو القاسم محمد)، (١٩٩١م)، ص٢٢)**، كما قيّض الله لهذه المنطقة في العصر الحديث مجموعة من العلماء اسهموا في نشر الثقافة الإسلامية، وتوالوا على حمل مشعلها وعلى رأسهم الشيخ "محمد بن عبد الكريم المغيلي" الذي جسَّد حلقة وصل جديدة بين الضفتين (**عباس (عبد الله)، (٢٠٠١م)، ص.ص(١١٦-١١٧). ينظر كذلك: الصديق (حاج أحمد)، (٢٠٠٥م)، ص.ص(١٥٧-١٥٨) - عبد الله (عبد الرزاق)، (١٩٩٩م)، ص.ص(١٢-٢٨)**)، وقد كان من نتائج جهود هؤلاء العلماء أن انتشرت الطرق الصوفية في الإقليم وكان أشهرها طريقتان كان لهما أدواراً كبيرة في نشر الإسلام بالمنطقة، وهما: القادرية والتيجانية.

ولم يقتصر أثر الفكرة الدينية للإسلام في الحياة السياسية والثقافية للإقليم بل تعدى إلى جوانبها الاقتصادية، إذ كان أحد أهم العوامل لازدهارها خلال العصور الوسطى وما بعدها، ففي المجال التجاري كان وصول بضائع إقليم السودان الغربي إلى شمال إفريقيا منذ القرن الثاني عشر أكبر دليل على أن الإسلام قد شجَّع قبائله على الخروج من عزلتهم الطويلة التي سيطرت عليهم في العهود الوثنية، كما أنه أدخل إلى تلك المناطق نظام الصكوك والمعاهدات التجارية (**قداح(نعيم)، (ب.ت)، ص١٣٩)**، وأوجد مبادئ الأنظمة الاقتصادية الإسلامية، حيث فرضت الزكاة وضريبة الأعشار، والخراج واستعملت المقاييس والمكاييل والموازين الإسلامية(**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص١٨٧)** ....وهكذا نستطيع القول إننا لا

نكاد نلمح جانبًا حضاريًا لأقاليم الصحراء الكبرى إلا ويظهر لنا فيه الأثر الإسلامي البالغ على مختلف جوانبه، وفي هذا يقول المؤرخ الفرنسي لوران جولي (Laurent Joly): «أنه بالإسلام يبدأ العصر التاريخي لإفريقيا السوداء»، وقد فسَّر الدكتور إبراهيم طرخان هذا القول بأن العصر الذهبي في تاريخ السودان هو العصر الوسيط: «ففيه برزت الخصائص المميزة للحياة الإنسانية في هذا الإقليم» (**دياب (أحمد إبراهيم)، (١٩٨١م)، ص.ص(٢٦-٢٧)**).

ويُعد الجنوب الجزائري جزءاً من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً، ومن جبال الأطلسي شمالاً إلى بلدان الساحل جنوباً، وتغطي هذه الصحراء مساحة ثمانية ملايين (٠٨ كلم^{٢})، يشترك فيها كل من جنوب المغرب والجزائر وتونس وليبيا السودان الغربي(**دياب (أحمد إبراهيم)، (١٩٨١م)، ص.١٠**) أمَّا مساحة الصحراء الجزائرية فتبلغ (١٩٨٧٦٠٠ كلم^{٢})، وبذلك تحتل مساحة واسعة تجاوزت نسبتها ٩٠% من مساحة القطر الجزائري، وعموماً فإن هذه الصحراء جغرافيًا أبسط من المنطقة التلية، إذ لا نجد بها الجبال المتقطعة، ولا المرتفعات المعقدة ولا السهول التحاتية الواسعة، أو الأحواض المغلقة، أو الجبال بحافاتها الشديدة الانحدار(**حليمي (عبد القادر)، (١٩٦٨م)، ص ٥٦**).

وعليه فسطح الصحراء يتميز ببنية تضاريسية بسيطة ومتنوعة في أشكالها المورفولوجية والتي تبرز في الوحدات الأربع الأساسية الآتية: (الصحراء المنخفضة، السهول الرملية، الهضاب الصحراوية، المرتفعات القديمة)(**جيلالي (صاري)، (١٩٨٣م)، ص- ص(١٨-٢٠)-مياسي (إبراهيم)، (١٩٩٦م)، ص١٣**)، وتمتد على معظم أفريقيا الشمالية والغربية، أي من صحراء مصر شرقًا إلى موريتانيا غربًا، ومن سواحل ليبيا شمالاً إلى منخفض تشاد جنوبًا أما سطحها فهي هضبة مستوية قليلة الارتفاع نسبيًا تتخللها أشكال تضاريسيةعدة، أهمها: بحار الرمال، الكثبان الرملية، الصحارى الحجرية، الجبال القديمة(**روكز (يوسف)، (١٩٨٦م)، ص ٢٢**).

كما تتميز الحياة النباتية بالضآلة وكذا تحملها للجفاف والحرارة المرتفعة والبرودة الشديدة، وفي الوقت نفسه يوجد في الصحراء الجزائرية «حوالي ٥٠٠ نوع من النباتات التي هي على العموم قصيرة وسميكة، هذا بالإضافة إلى ثروة حيوانية تتكون من الغزلان وذئاب الرمال ومجموعات من الجرذان والأفاعي والزواحف المتنوعة والطيور» (**Ferdinand (Camille Dreyfus) and (André) Tertel (1902). Tome. xxix. Paris. .(P.66.**

وعلى الرغم من اتساع وعزلة الصحراء الجزائرية، إلا أنها مهيكلة بشبكة معتبرة من المدن والمراكز والواحات التي كانت ذات أهمية إستراتيجية قصوى فيما يتعلق بالاستعمار

الفرنسي في توغله وإحكام سيطرته التامة على إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، إذ تتركب هذه الشبكة من مدن وواحات تعبر عواصم الأقاليم الطبيعية، كالزيبان وبني ميزاب ووادي سوف والساورة والأهقار، وهي مدن آهلة بالسكان يتراوح تعدادها ما بين ١٥.٠٠٠ إلى ٤٠.٠٠٠ نسمة «وهو ما بيَّنته بعض إحصاءات المصادر الفرنسية حين قدرت أعداد سكان الصحراء الشرقية والوسطى عام ١٨٦٠م بما يقارب ٤٥٠.٠٠٠ نسمة» **(عميراوي (أحميدة) وآخرون، (٢٠٠٤م)، ص ٩)**، وعموماً فإن لسكان الجنوب الجزائري خصائص اجتماعية تميزهم عن غيرهم من سكان الشمال الجزائري مثلاً، وأهم هذه المميزات أنها مجتمعات قبلية، أغلب سكانها رحل**(موريس (دولفوس)، (١٩٨٤م)، ص.ص (٥١٨ – ٥١٩))**، يعيشون حياة قبلية متنقلة أو شبه مستقرة، ولا تزيد الكثافة العامة عن اثنين بالكيلومتر مربع (٠٢كم^{٢})، وقد تمكَّن الشماليون بحكم تفوقهم الحضاري من اجتياز الصحراء نحو الجنوب عبر طرق تجارية منتظمة والسيطرة عليه، ولذا يغلب على الصحراء الجزائرية طابع الحضارة الشمالية، ويظهر ذلك في النواحي الاجتماعية (الدين، اللغة، التقاليد القبلية،...) وفي النواحي الاقتصادية (الزراعة، التجارة، الري،...).

٢. الإمكانات الاقتصادية للصحراء الجزائرية:

إن الصحراء الجزائرية وعلى الرغم من شساعتها ومناخها القاسي وعزلتها فإنها تزخر بإمكانات وقدرات طبيعية واقتصادية هائلة ومتنوعة منها المعادن، والبترول والغاز الطبيعي، والفلاحة.

أ – **المعادن:** لقد اكتشف الإستعمار الفرنسي خزانات معدنية هائلة ومتنوعة في مناطق مختلفة من الصحراء مثل: منطقة بشار كولمب (الجنوب الغربي للجزائر) التي تتوافر على ثروة معدنية ضخمة وذات بعد عالمي منها: (مناجم الفحم الحجري في القنادسة وكيس كسو– ومناجم الحديد بالعبادلة– ومناجم المنغنيز والنحاس بجبل بوعرفة– ومناجم الرصاص بالقرب من مفيس– بالإضافة إلى منطقة تندوف التي تضم مكامن ضخمة من الحديد والفحم الحجري والرصاص قدرت احتياطاتها آنذاك بحوالي ثلاثة ملايير طن) **(حليمي (عبد القادر)، (١٩٦٨م)، ص١٦)**.

ب: البترول: بدأ الفرنسيون يعطون أهمية كبرى للصحراء الجزائرية بعد اكتشاف المعادن ثم انتقل التركيز إلى مصادر الطاقة بعد اكتشافها منتصف خمسينيات القرن العشرين. وحينها عدّ الفرنسيون أن المعجزة ستكون من الصحراء، ومن أهم آبار البترول؛ حاسي مسعود جنوب ورقلة، ثم آبار ايدجلي وثيقنتورين وفورفلاتر نحو الحدود الليبية، – وآبار الغاز الطبيعي بالقرب من غرداية بمنطقة بريان وهو حاسي الرمل وبني تلرام، وآبار واحات الوسط

ولا سيما آبار عين صالح أحنات وبوقا، كل هذه الطاقة كانت تحول نحو ميناء الجزائر العاصمة ومنها إلى فرنسا خلال الإحتلال (**Andre. (Labarthe). (1957). P.98**).

ج: الفلاحة الصحراوية: المعروف أن الصحراء الجزائرية تزخر بمحيطات زراعية مهمة تشتهر بواحات النخيل كواحات الزاب الشرقي والغربي ووادي سوف، كما هو الحال في طولقة وبن نوي فضلا عن بعض السهول الخصبة ذات الزراعات المتنوعة مثل: سهل العبادلة ببشار، وسهل أدرار، وسهل تامنراست **(حليمي (عبد القادر)، (١٩٦٨م)، ص١٧)**.

ثانياً: أهم محاور الإستراتيجية الإستعمارية الفرنسية في إخضاع الصحراء الجزائرية

من الشائع أن حادثة صفع الداي حسين (حاكم الجزائر قبيل الإحتلال) للقنصل الفرنسي بسبب الخلاف على مسألة دين فرنسا للجزائر، كانت السبب المباشر في حملة ١٨٣٠م، ولكن إلى جانب هذا السبب المباشر، توجد أسباب أخرى بعيدة((**حليمي (عبد القادر)، (١٩٦٨م)، ص١٧**))، ولعل ما يرتبط بموضوعنا أن فرنسا كانت تسعى من وراء احتلالها للجزائر إلى إيجاد (متسع حيوي) على هذه الضفة الغربية من البحر الأبيض المتوسط والتي لا تفصل بينها وبين أوروبا إلا مسافة قصيرة، وفي ذلك تدعيم لسياستها وهيبتها لدى الدول والشعوب الأوربية، فقد صرَّح الجنرال أيتين موريس جيرار (Étienne Maurice Gérard) وزير الحربية الفرنسية إذ ذاك على إثر نزول قواته الغازية في الساحل الجزائري قائلاً: « إن هذا الاحتلال يستند إلى ضرورات هامة جداً، إذ يرمي إلى منفذ واسع لتصريف بضائعنا، وإيجاد مجالات واسعة للفائض من أهالينا وتصدير منتجات صناعتنا وتبادلها مع منتجات أخرى غريبة عن أرضنا وجوِّنا...»(**أحمد (مراد)، (١٩٥٩م)، دعوة الحق، ع ١٠، ص١٠٤)**، كما صرَّح وكيل العلاقات التجارية، مستحثًا حكومته على غزو الجزائر، فقال: «إن المنافع المادية التي تعود على فرنسا من احتلال الجزائر –بصرف النظر عن ملايين الفرنكات الذهبية التي تزخر بها الخزانة الجزائرية– أنفع وأجدى لفرنسا من كل عمليات الغزو الاقتصادي التي قامت بها حتى الآن ...» (**أحمد (مراد)، (١٩٥٩م)، دعوة الحق، ع ١٠، ص١٠٤)**.

«إن غموض الصحراء ورهبتها، بل والأساطير التي نُسجت حولها، كان أقوى دافع لاستكشافها بعدما سقطت مدينة الجزائر التي كانت أمنع قلاع الخطوط الأمامية للدفاع عن الصحراء... انفتح الطريق أمام الطامعين والمغامرين الأوربيين، وبدأت طلائع الرحالين للاستكشاف من أجل الغزو التجاري والتوغل بالتبشير الديني للمتوحشين، وذلك قبل أن يبدأ في مرحلة تالية تطبيق المخطط الاستعماري...» (**العربي (إسماعيل)، (١٩٨٣م)، ص٦٤)**.

١. الإهتمام الأوروبي والفرنسي بالصحراء الجزائرية:

كانت الصحراء الكبرى الإفريقية عالماً مجهولاً للأوروبيين قرونًا طويلة، ولم يكتسب هومر (Homére) وسيلاكس (scylax) وبروماتوس(Promatos) إلا معلومات جد محدودة عنها، غير أن هيرودوت (Herodotus) قدَّم عنها لأول مرة معلومات لا بأس بها للأوروبيين بعد أن قام برحلة إلى برقة ودواخل ليبيا في القرن الخامس قبل الميلاد(**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ، ص٦١**)، وفي عهد القرطاجيين حاول حنون القرطاجي ربط الصلات التجارية بين شمال القارة، ووسطها بواسطة مجرى واد درعة ونهر السنغال بعد أن قام برحلة إلى المحيط الأطلسي عبر مضيق هرقل (جبل طارق فيما بعد) وراجت في قرطاجة بضائع الصحراء التي كانت القوافل تحملها من النيجر إلى طرابلس عبر مرزق وبلاد الفرامانت، وخلال الاحتلال الروماني للشمال الإفريقي اقترب الرومان من أطراف الصحراء الشمالية وأقاموا قلاعًا وقواعد عسكرية وسكنية في بنغاري وطرابلس وغدامس وتبسة والأوراس وموريطانيا القيصرية ....

وفي مطلع القرن الأول المسيحي تمكَّن كور نيليوس بالبوس (Core Nelius Balbos) من عبور الصحراء سنة ١٩م من ليبيا إلى تاسيلي أزجير بالأهقار في محاولة للوصول إلى مجرى نهر النيجر، واقتفى أثره آخرون بعد ذلك إلى السودان ومن ضمنهم: سبتوميوس فلاكوس (Septomius flacus) وجوليوس ماترنوس (Julius Maternus) **(بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص٦٨)**.

وفي العصر الإسلامي الوسيط جاب هذه الصحراء الكبرى طولاً وعرضًا رحالة ومؤرخون عديدون وتعرفوا على أرجائها وأسرارها وكمائنها، وسجلوا كل ذلك في كتبهم، ومنهم ابن حوقل والبكرى وابن بطوطة وابن خلدون، والإدريسي والحسن الوزان والعياشي وغيرهم ....

أما الأوروبيون في العصر الحديث فقد بدأوا اهتمامهم بالصحراء عندما شرعوا فيما سُمي بالكشوفات الجغرافية البحرية الاستعمارية خلال القرن الخامس عشر ميلادي وما بعده، إذ قام مغامر جنويي برحلة إلى حوض النيجر عبر توات عام ١٤٤٧م، كما قام البرتغاليون بالدوران حول القارة الأفريقية للوصول إلى بلاد الهند بحثًا عن البهارات وغيرها من سلع الشرق الأقصى لآسيا، وفي أواخر القرن ١٨م ومطلع القرن ١٩م اشتد التنافس الاستعماري بين الفرنسيين والإنجليز والألمان حول القارة الأفريقية.

نقرأ في كتاب (مهمتي فلاتر في بلاد توارق آزجار والأهقار) ، للكابتان هنري بوروسلارد (**Henry Boroslard**) (**Les Deux Mission Flatrters Au Pays Des Touareg Azdjer Et Hoggar**) – وهو أحد أعضاء هذه البعثة– تصريحه

بأن: «الإنجليز كانوا السباقين في اكتشاف الصحراء، وكانت لهم بعثات باتجاه حوض النيجر، وبينما يتجه الإنجليز بصمت نحو أغنى المناطق في وسط إفريقيا لتدعيم تأثيرهم وعلاقاتهم التجارية، فإن وضع فرنسا في الجزائر والسنغال يسمح بأخذ زمام المبادرة لتدعيم وضعها في المستعمرات والاستفادة الاقتصادية من مساحة شاسعة مأهولة بالسكان»(**Brosselard.(1889).PP1-3.**)، إذن لقد كان الإنجليز والألمان أسبق من غيرهم من الأوربيين في اكتشاف الصحراء عمومًا؛ حتى أن انجلترا شكَّلت سنة ١٧٨٨م "الجمعية الإفريقية لاكتشاف الصحراء" **(بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ، ص٦٤)**، والتوغل بداخلها، غير أن الذي يعنينا هنا في هذه الدراسة هو الجانب الفرنسي؛ فقد كان هنري دوفريي[١](**Henri Duverier**) أول مستكشف فرنسي في الصحراء الجزائرية "غرداية، الأغواط، الطاسيلي" **(1959). P .13), (Lachaire (Franis).**

وهذا ما يحيلنا إلى الإستنتاج بأن تفكير فرنسا في توسعها العسكري نحو الصحراء الجزائرية ليس وليد تاريخ الاحتلال أو القضاء على المقاومة الشعبية في المناطق الشمالية، وإنما يعود إلى أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، واستمر هذا الإهتمام في محاولات استكشافية متكررة إلى حوالي سنة ١٨٢٤م (**Voir par exemple ,(1929). Tome IV, p 283.**)، إذ تمكَّن في هذا التاريخ وإلى غاية سنة ١٨٢٨م الموفد "روني كاي" (Ronnie Kay) من الظفر بلقب أول مغامر فرنسي في عمق الصحراء الجزائرية، إذ عَبَرها انطلاقًا من السنغال حتى مدينة تمبكتو وعاد عبر طريق تافيلالت إلى المغرب الأقصى وزار كل من فاس والرباط وطنجة، فقد كان يتطلع حينها إلى اختراق الصحراء الإفريقية الكبرى من السنغال إلى مصر والحجاز، إلا أن الصعوبات التي واجهته حالت دون ذلك، فاكتفى بالوصول إلى تمبكتو ومنها توجه نحو المغرب ( ), **Augustin (B) (1900), P.3.**

وبالمقابل استفاد الضباط الفرنسيون ممَّا تركه هؤلاء الرحالة في معرفة أحوال الصحراء الجزائرية، وفي توجيه حملاتهم التوسعية بهذه المنطقة، من ذلك نذكر الضابط " لابي" (Labie) الذي تمكَّن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية، وكانت هذه الخريطة أحسن أداة وظَّفها الفرنسيون فيما بعد في التوسع العسكري والمدني والتحكم الإداري والاجتماعي في الصحراء.

[١] - **هنري دوفريي:** ولد في باريس سنة ١٨٤٠م، درس التجارة في ألمانيا التي تخرج منها سنة ١٨٥٧، متأثرا بالرحالة الألماني بارث، قام سنة ١٨٥٧م بأول زيارة إلى الجزائر ثم إلى الصحراء جنوب الأوراس، ثم بلاد التوارق، حيث نشر دراسة عن قبائل التوارق للجمعية الشرقية في برلين وعمره ١٧ سنة، كانت رحلته الثانية سنة ١٨٥٩م، زار خلالها غرداية والطاسيلي، حيث تعلم التارقية والتفيناغ، وبعد ثلاثة سنوات نشر كتابه "توارق الشمال" إلى جانب العديد من الدراسات، توفي منتحرا سنة ١٨٩٢م

لقد كان الالتفات إلى الصحراء قصد تثمينها واستغلالها، يُمثل في حقيقته استجابة لدعوة اريك لابون (Eric Labon) [٢] الذي دعى منذ مدة طويلة، إلى ضرورة الاهتمام بالصحراء لاستغلالها وتثمينها. واضعًا لذلك مشروعًا متكاملاً ومخططًا محكمًا في هذا المجال، وتتمحور آراء "إريك لابون" حول المحاور الآتية : «بما أنه لا يمكن تثمين كامل الصحراء نظرًا لمحدودية الموارد البشرية والمادية، وجب إذن تركيز الجهود والوسائل في مناطق محددة، تتوفر على موارد اقتصادية معتبرة وأهمية إستراتيجية كبيرة. وهي المناطق التي أطلق عليها لاحقًا اسم "مناطق التنظيم الصناعي بإفريقيا"» (**Jean (Loyrette) et Jean (Godrd), (1959). pp. 25-26.**)، فضلا عن هذا فإنه سبق لقادة الاحتلال أن سخروا بعضاً من أهل الصحراء ومنهم القادة والشيوخ لتمرسهم في معرفة الصحراء ودروبها، مثلما حدث مع العلامة الموريتاني أحمد المصطفى ولد طوير الجنة، الذي مرَّ من الجزائر عام ١٨٣٢م في أثناء عودته من الحج قاصداً "ودَّان"، ولقبه الفرنسيون حينها "بمرابط شنقيط".

ومع مطلع الخمسينيات من القرن التاسع عشر بدأت الرحلات الفرنسية تزداد نحو الجنوب الجزائري، فقد «قام الدكتور "هنري بارت" (Henry Bart) برحلتين رئيستين الأولى في سنة ١٨٤٩م، والثانية في سنة ١٨٥٥م من طرابلس عبر غدامس وغات بفزان إلى تشاد وتمبكتو عبر قورارة وتوات وتيديكيلت، إذ كان برفقة صديقيه "ريتشارد صوت "(Richard Sott) و"إدوارد فوجيل"(Edward Vogel) برحلة انطلقت من طرابلس إلى أعماق الصحراء الجزائرية ولقي حتفه بمدينة الوادي سنة ١٨٥٦م، وفي السنة الموالية تمكَّن المغامر "بونمان" (Bonman) من الوصول إلى غدامس عبر منطقة سوف» (**Jean (Loyrette) et Jean (Godrd), (1959). p26.**).

ولعل من أهم هذه البعثات الاستكشافية إلى صحراء الجزائر هي بعثة «دوفيري هنري "(Duffier Henry) التي تعددت الروايات التاريخية في الحديث عنها لدرجة أن عدّها بعضهم مجرد أسطورة لا غير، ذلك أنه وقبل أن يباشر رحلاته الرسمية قام برحلة استطلاعية إلى مدينة القليعة (المنيعة حاليًا) أين ثار عليه سكانها **(العربي (إسماعيل)، (١٩٨٣م)، ص ٨٤).**

---

[٢] - **إريك لابون (Erik Labnne):** سفير فرنسا والمقيم العام الفرنسي السابق بكل من المغرب وتونس والرئيس بالنيابة للجنة الدراسات لمناطق التنظيم الصناعي بإفريقيا .Z.O.I.A . وهو يعتبر بحق النبي الموحي و الملهم لإنشاء هذه المناطق حيث دعى منذ وقت مبكر إلى ظرورة الاهتمام بتثمين و استغلال الصحراء. و إيمانا منه بفكرته هذه أنشأ مكتب الأبحاث و التنقيبات المنجمية المغربي .B.R.P.M سنة ١٩٢٩، و الشركة الشريفية للبترول بالمغرب أيضا سنة ١٩٣١م.

ومع مطلع الستينيات بدأت رحلة "جيرهارد روهلفس" (Gerhard Rohlfs) فعلى الرغم من الظروف المالية التي كان يمر بها فإنه انطلق متوجهًا نحو مدينة تافيلالت المغربية، وعلى الرغم من الاحتياطات التي قام بها – حلق رأسه وأعلن عن إسلامه وختن نفسه – ورسائل التوجيه التي تسلمها من شريف وزان بالمرور فإنه قد أُسر وسجن ولم ينقذه من الموت المحقق إلا الختان الذي أجراه لنفسه، وعلى الرغم من كل الذي وقع له إلا أنه واصل رحلته حيث تمكَّن من الدخول إلى التراب الجزائري عبر جنوب وهران، ولكن أحداث ثورة أولاد سيدي الشيخ دفعته إلى التوغل في التراب المغربي عائداً إلى تافيلالت، ومن هناك عرج إلى الشرق، وفي يوم ١٧ سبتمبر ١٨٦٤م دخل إلى مدينة عين صالح، ثم جاء من بعدها رحالة مغامرين كثر منهم: "الميجور لانج" (Major Lang). و"ميرشير" (Mercher) و"بولينياك" (Polleniac) و"فاتون"(Veton) والطبيبان "هوفمان" (Hoffman) و"إسماعيل بوضربة" باتجاه غدامس في سنة ١٨٦٢م، واعطت هاتان الرحلتان الأخيرتان دافعاً قوياً للتوغل الفرنسي في الجنوب الجزائري قصد السيطرة على طرقه التجارية وثرواته الاقتصادية الظاهرية آنذاك، فقد تمكنا من إبرام اتفاقية مع زعيم التوارق إيخنوخن يوم ٢٦ نوفمبر ١٨٦٢م(**العربي (إسماعيل)، (١٩٨٣م)، ص ٩١**).

وفي السبعينيات من القرن التاسع عشر تضاعف عدد البعثات وهنا أكتفي بالإشارة إلى أهمها وهي بعثة الجنرال " قاليفيه" (Califfe) «التي بدأ في التحضير لها منذ سنة ١٨٦٦م بدراسته النظرية وإطلاعه على عادات وتقاليد الصحراويين في كتب التاريخ والجغرافيا التي ألفت حولهم» (**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص.ص (١٢٤– ١٢٥)**).

إن النشاط المكثف لهؤلاء المستكشفين المغامرين أدى إلى ازدياد رغبة الحكومة الفرنسية في احتلال المناطق الصحراوية الغنية بثرواتها الطبيعية الظاهرية والباطنية، وتسهيل مهمة التوسع العسكري من خلال اعتمادها على كتابات هؤلاء المستكشفين فقد اتبعت في إخضاع الصحراء الجزائرية على طرق ووسائل عدة ناجعة كانت نتاج جهد هؤلاء المستكشفين(الجواسيس).

ومن أهم الكتابات والدراسات التي ساعدت على تجسيد الإستراتيجية الإستعمارية الفرنسية وعجَّلت في إخضاع الصحراء الجزائرية على الرغم من المقاومة الشعبية المضادة والعوائق الطبيعية؛ الدراسة التي قدَّمها الضابط "أوجيرا"(Ugera) بجوانبها العلمية والفلكية والطبوغرافية لواحات الساورة، وتوات، وموريتانيا، وكذا دراسة "باجول" (Bagul) التي خصصها للتكوين الجغرافي والطبوغرافي لبعض المناطق الصحراوية وكذا للآبار المائية الصحراوية، ودراسة "موريس" (Morris) لمظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لسكان التوارق بالأهقار، مع استعراض عاداتهم وتقاليدهم وبعض

الجوانب من تاريخهم السياسي والحضاري، فضلا عن دراسة "بيسي" (Pessi) لمنطقة تيديكلت والتي ركزت على النواحي الجغرافية والبشرية وتاريخ السلالات وعادات وتقاليد السكان لمصادر ثروتهم، كما تحدثت هذه الدراسة على جغرافية مناطق المودير وأدرار وتانزروفت وأهنيت والأهقار (**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص.٧٣**).

ومن أشهر الدراسات الإستكشافية الأخرى التي خدمت بحق الإستراتيجية الفرنسية وعملت على تسهيل التوسع الإستعماري بالصحراء الجزائرية؛ دراسة الضابط "هنري بيسويل" (Henry Biswell) الذي درس عادات التوارق وأسلحتهم وأساليب حروبهم، كما درس جغرافية منطقة تادمايت وتيديكلت وتوات وقورارة، ودعا إلى ضرورة تركيز الاحتلال الفرنسي على هذه المناطق لأهميتها في ربط الجزائر بتشاد (**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص.٧٤**). كما تحدَّث"جاك بوكار" (Jack Pocar) عن النتائج العلمية والجيولوجية والعسكرية التي توصلت إليها بعثته، يضاف لها دراسة "أوليفيس" (Olivis) على مناطق جنوب تونس وسوف وتقرت وورقلة وواد ميَّه وتادميت وتامنراست وأهنيت وأولف وقورارة وواد الناموس وفيقيق، وكذا دراسة "كانسيل" (Cancell) على جغرافية عرق إيقدي وواد الساورة.

كما تعرَّض " كابوري "(Kabore) لأهمية آبار واد ريغ من الناحية السياسية والاقتصادية، وبالمقابل كان تركيز كل من " كاركاسون " (Carcassonne) على دراسة عادات وتقاليد التوارق، و"براكس" (Rax) سنة ١٨٥١م على العلاقات الإقتصادية والدينية بين مكة والسودان، ومعلوم أن "هنري دوفيري" (Henry Duffery) كان قد قدَّم وثائق ومعلومات مهمة عن التوارق نشرت فيما بعد في كتاب له سنة ١٨٦٤م بعنوان: "Touareg dans le nord" (التوارق في الشمال) (**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص.٧٤**).

وفي النهاية يمكن القول إن الإستراتيجية الإستعمارية الفرنسية إنما تعود في صياغة معالمها إلى ما دوَّنه الضابط الفرنسي "لابي" الذي تمكَّن من وضع خريطة عامة للجزائر ككل وليس الصحراء فقط، إذ أوضح فيها تضاريس المنطقة الجنوبية، كما استفادت إدارة الإحتلال الفرنسي من دراسة " لافازاك" (Lavazac) التي أنجزها في سنة ١٨٣٦م والمتمثلة في خريطة عن الصحراء الجزائرية ضمَّنها أهم المعالم الرئيسة كطرق المواصلات مثلاً(**عميراوي (أحميدة)، (٢٠٠٤م). ص٨٧- يراجع: بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص-ص (٦٥ – ٦٩)**). ومن جهة أخرى فقد اعتمد الفرنسيون لتحقيق إستراتيجيتهم الإحتلالية لأرض الصحراء على المخابر البحثية والهيئات العلمية المتخصصة، ففي سنة ١٨٣٧م أُسست لجنة علمية فرنسية انكبت على دراسة إمكانات الجزائر وكيفية استثمارها، وكانت تضم عسكريين ومدنيين ومنهم كاريط (Carette) الذي قدَّم مؤلفاً مهماً بعنوان: (بحث في الجغرافيا والاندماج في إفريقية جنوب الصحراء) Rrecherché Sur La Géographier

. Commerce De L'Afrique Méridionale ، كما كانت تضم الضابط" دوما" (Daumas) الذي ألَّف وبتشجيع من المارشال "بيجو" سنة ١٨٤٥م كتاباً بعنوان: (الصحراء الجزائرية) "Désert algérien" وهو دراسة إحصائية وجغرافية وتاريخية عن الجنوب القسنطيني.

ومن العناصر الفرنسية التي كان لها السبق في التوسع بالصحراء وبوسائل متعددة الجنرال ديفو (DESVAUX) الذي أبهر السكان المحليين بمشاريعه التي كانت تبدو لهم خيرية تطوعية، ومن بينها حفر الآبار وشق الطرقات وفرض الأمن . وكان" ديفو" على قناعة كبيرة بضرورة احتلال الصحراء بهدف حماية الوجود الفرنسي في الشمال وفي افريقيا الغربية والحصول على موارد رزق من الصحراء التي كانت مصدر ثراء.

إن "ديفو" كان عارفاً للثقافة العربية الإسلامية وداركاً للعوامل المتحكمة في المجتمع الصحراوي الجزائري فاستخدم الدهاء بجانب القوة العسكرية، كما وظَّف الجانب العلمي والدعائي لاحتلال قلوب السكان وبوسائل بسيطة كتوظيفه للغة المحلية بما فيها العربية، كما استلهم من شعر المدح الجزائري فزاد في دعم حالة التقارب بينه وبين السكان المحليين، الأمر الذي أدى بقبائل كثيرة حتى التوارق كي تعلن ولائها للفرنسيين قبل أن تطأ أقدام الجنود الفرنسيين أوطان هذه القبائل، ومن الغرابة بمكان أن أغلب الدراسات ولا سيما الجزائرية منها لم تتناول هذه المادة الخبرية ذات القيمة العالية التي تركها هذا القائد "ديفو" وغيره من الاستكشافيين الأوربيين في شمال إفريقيا.

على العموم ترجمت سلطة الإحتلال الفرنسية اهتمامات ونصائح المستكشفين والمرشدين والرهبان المنصرين عملياً بأن سمحت لقافلتين تجاريتين فرنسيتين بالانطلاق من بسكرة إلى جنوبها يوم ١٣ جويلية ١٨٤٤م، أي بعد احتلال هذه المدينة في مارس ١٨٤٤م(**عميراوي (أحميدة)، (٢٠٠٤م). ص٥٤**) وبالفعل تمكنت هذه القافلة من فتح الباب واسعاً في وجه قوافل أخرى، منها قافلة التاجر "غارسان" (GARCIN) الذي زار بسكرة عام ١٨٤٨م.

والأكيد أن السلطة نفسها قد وظَّفت هذه المعلومات في أثناء توسعاتها بالصحراء، وأبرز مثال على ذلك ما طبقته عند احتلالها لمدينتي: «عين ماضي (1844/04/22م)، ومدينة الأغواط يوم (١٨٤٤/٤/٢٥م)، والأمر نفسه تكرر في حملاتها العسكرية الكثيرة إلى مناطق الصحراء الأخرى كتوقرت وواد سوف»(**St- Aranaud,(1978)**)، كما استعانت إدارة الإحتلال في تنفيذ مشروعها التوسعي على مساعدات كبيرة من بعض شيوخ القبائل المتعاونة مثلما وجدته «في "بوعزيز بن قانة" الذي عيَّنته فرنسا شيخاً للعرب على منطقة الزيبان ابتداءً من شهر جانفي ١٨٣٩م» (**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٧م)، الثقافة،**

ع٣٣، ص- ص (١١-٢٨))، ولا ننسى الدعم اللامتناهي من لدن بعض شيوخ الطرقية في الصحراء، وبهذه السياسة تمكنت السلطة الفرنسية من التوسع في أغلب أنحاء الصحراء.

لقد بدأ الفرنسيون مغامراتهم في الصحراء الإفريقية مند رحلته "روني كايي" (Ronnie Kaye) في أعوام (من عام ١٨٢٤م –إلى عام ١٨٢٨م) واشتد حماسهم بعد احتلالهم لمدينة الجزائر عام ١٨٣٠م، ولكن المقاومة البطولية الصامدة التي واجهوها من طرف الشعب الجزائري في الشمال، أعاقتهم عن ذلك قرابة أربعين عاماً، ويمكن القول إن اهتمامات الفرنسيين تمحورت في ثلاثة محاور رئيسة وبارزة هي:

- الغزو والتوسع الاستعماري الذي اعتادوا على نعته بالاستكشاف والتعرف على هذا المحيط الواسع، من الرمال الصفراء بواحاته الخضراء المتناثرة هنا وهناك، واقترن هذا الغزو والتوسع الاستعماري بمحاولة التعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية لاستغلالها، واستثمارها.
- استكشاف المظاهر الجغرافية والتضاريسية، والمناخية والطبوغرافية والطاقة المائية الجوفية الكامنة، كما اقترن هذا الغزو والتوسع الاستعماري بدراسة المجموعات السكانية، وعاداتها وتقاليدها، وتاريخها السياسي والحضاري، وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- محاولة وضع شبكة من طرق المواصلات البرية، والسكك الحديدية، وأسلاك الهاتف، لتسهيل سبل التنقل في ظروف آمنة للقوات العسكرية، والمغامرين بين مختلف المناطق الصحراوية، وقد برز هذا الهدف نتيجة للاهتمام الأول، ولخدمته وتدعيمه. كما حاولوا إنشاء بحر داخلي صحراوي من أجل إحداث تغيير جذري في الظروف الطبيعية والمناخية القاسية للصحراء . فاتجهت أنظارهم إلى أحواض الجريد التونسي، وأحواض بسكرة، وواد سوف، في الطرف الشمالي لحوض ايغرغر لاتخاذها نواة لهذا البحر الداخلي الصحراوي، الذي سيُربط بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق شط فجاج إلى خليج قابس في تونس، وقاموا فعلاً بدراسات واسعة للمنطقة من جميع النواحي، ولكن بعد احتلال تونس تضاربت وجهات نظرهم بين مؤيد ومعارض وألغي المشروع **(بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص- ص (٦١-٦٥))**.

كما نستنتج من هذا المبحث «أن فرنسا ولتحقيق استراتيجيتها التوسعية في الصحراء الجزائرية كانت بحاجة إلى أكبر قدر من المعلومات عنها حتى تكون عملية الإخضاع أكثر مرونة وأقل تكلفة، لذا تعددت رحلات المستكشفين، والدارسين المختصين والمغامرين، وحاولوا كلهم أن يستغلوا طرق القوافل الصحراوية حتى يستفيدوا منها في تحقيق المشروع الاستعماري، ويفتحوا الطريق للتجارة الفرنسية حتى تتغلغل إلى قلب القارة الإفريقية، كما

حاولوا أن يستفيدوا من كتب الرحالة العرب وكبار المؤرخين» **(يراجع للتوسع:-عميراوي (احميدة)، (٢٠٠١م)، ص(١٥١ -١٧٣) و أيضاً – بوعزيز(يحي)، (١٩٨٠م)، ص ٢٧٠).**

«وبالرغم من الصدى الترحيبي والاهتمام الكبير الذي لاقته دعوات مواصلة استكشاف وضم الصحراء الجزائرية من طرف الأوساط الفرنسية المختلفة، فقد اقتضى الأمر الانتظار إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية»

Also review, Général O. -Cf. Marc-. pp.(259-261. MEYNIER, (1955). in Cahiers Charles de Foucauld, vol. 39, 3ème trimestre, pp. (42-51)

لتنطلق فعلياً المبادرات الأولى الموجهة لدراسة واستغلال هذه المناطق. فقد كانت الحرب على جبهة شمال إفريقيا، و ما أظهرته من بطء في الحركة وعجز في التموين عند الفرنسيين، لتفتح أعين هؤلاء على الكثير من الحقائق. كان أهمها ضرورة الإسراع بتثمين واستغلال هذه المناطق. كما دلَّت العمليات الاستكشافية والحربية التي جرت بالصحراء على الأهمية الإستراتجية والحيوية التي تُمثلها على مستقبل أمن وسلامة فرنسا.

وتنطبق هذه الأهداف العامة على المستكشفين والرحالين الأوروبيين الذين تركزت معظم مجهوداتهم في القرن التاسع عشر على القارة الأفريقية انطلاقًا من محاور اهتمامات مختلفة كإشباع الفضول العلمي والتبشير الديني ومكافحة العبودية والغزو والاستعمار (**Michel (découverte 8V. l3 (1986). (Paris)Mourre.** ، ونجد من بين هؤلاء المستكشف المحترف؛ وهو ذلك الذي يتبنى الترحال هواية ويقوم برحلات كبرى عدة فيستحق بذلك أن يسمى رحالة، كما نجد منهم المستكشف بالصدفة وهو الذي يأتي للاستكشافات صدفة كالناجي من تحطم سفينة أو الواقع في الأسر أو المأمور من طرف قائده العسكري أو مسؤوله الإداري بالقيام باستكشاف منطقة، وكثيرًا ما تكون الاكتشافات "المأمورية" مخصصة لخدمة أغراض تجارية أو سياسية .

ويضاف إلى ما سبق الدافع الديني، فالحملة الفرنسية التي انتهت باحتلال الجزائر سنة ١٨٣٠م، هي حملة صليبية بامتياز حيث كان شعارها إضاءة أرض الجزائر بالإنجيل، حتى ينبعث من هناك إلى أرجاء أفريقيا، فقد شجَّعتها البابوية بعد أن شاركت في التخطيط لها، اذ عدّ الفاتيكان استعمار فرنسا للجزائر عملاً مقدساً، كما أن «وزير الشؤون الدينية الفرنسية آنذاك الأسقف فرينسوس (Bishop Francis) كان من الشخصيات المؤثرة على قرار شارل العاشر لصالح غزو الجزائر» **(عوض (صالح)، (١٩٩٢م)، ج٢، ص ٢٠٨)**، وفي ذلك يقول قال الكاردينال لافيجري (Cardinal Lavigerie): «علينا أن نجعل من احتلالنا

للجزائر حربًا لأجل المسيح تلك هي رسالتنا الإلهية»(**عوض (صالح)، (١٩٩٢م)، ج٢، ص ٢٠٨**).

لقد قيل عن شارل لافيجري أنه كان يؤمن بفتح الصحراء في وجه فرنسا وكان مقتنعًا بضرورة ضم السودان الغربي إلى فرنسا لأنها منطقة غنية ومكملة للجزائر في نظره، ورأى لافيجري أن أكبر عائق في وجه فرنسا هناك هو الإسلام ولذلك ألَّف الإرساليات التنصيرية التي كان هدفها نشر المسحية وتسهيل مهمة فرنسا في الاستيلاء على المناطق الصحراوية الشاسعة. وهنا بدأت تظهر له فكرة إنشاء جمعية الآباء البيض للصحراء، وبذلك سبق جنود المسيح جنود الحكومة الفرنسية كما يقول الجنرال مينييه (General Minnier).

تأسست مركزية لهؤلاء الآباء في ورقلة منذ ١٨٧٣م، وبقيت هناك إلى عام ١٨٨١م عند ثورة بوعمامة ولم ترجع إليها إلا بعد ١٨٩١م، وكان لهذه المركزية أربعة من القساوسة وكانت تملك دارًا للأيتام ومدرسة يتردد عليها سبعون تلميذًا وعدد من كبار السن ... تحت حماية الحكومة الفرنسية مقابل أن يفتحوا لها الطريق ويقدمون لها المعلومات الضرورية عن القوافل والثورات والزوار وغير ذلك من التحركات في المنطقة.

أما الأخوان البيض فقد أنشئت في منطقة الجنوب بهدف التغلغل في المجتمع الصحراوي، فقد كانت لهم مدرسة تأوي ٢٠٠ تلميذة لنسج الزرابي من الصوف والوبر.. وكان هذا الانموذج في عهد الأب روبان (FatherRuban)... ووراء هذه المشاريع الإنسانية كان يجري التجسس على الناس والتعرف على أنماط تفكيرهم وعقائدهم وعلاقاتهم للاستحواذ عليهم وتمهيد الطريق لعملية الإخضاع العسكري، وكل ذلك كانت تحت شعار "الدعوة إلى المسيحية وإخراج السكان من التخلف وربطهم بالثقافة الفرنسية"، ويقول العقيد " دي بورث دانيللي" (Colonel Dee Porth Danielle) عن دور الآباء والأخوان البيض في الجنوب أنه يشبه دور الجامعة اليسوعية في بيروت.

لقد كان رد فعل سكان الصحراء عنيفًا تجاه نشاطات هذه الإرساليات التنصيرية التي كان ظاهرها الرحمة والإيثار وفي باطنها كانت تحمل مشاريع استعمارية توسعية ..وينطبق هذا التمثيل حتى على المستكشفين الفرنسيين بمن فيهم أولئك الذين توجهوا نحو بلاد البيضان في القرن التاسع عشر أمثال : مولليين (Mullen)، وكايي (Kaye)، ورافنل(Ravnell)، وباني(Bunny)، وابن المقداد، وبلانشي (Blanche)، وكروفل(Crovel)، وشودو(Choudeau)، «حيث مهَّد مقتل فلاتر(Filters) ورفاقه، لسلسلة من الاغتيالات للأوروبيين في الصحراء من طرف التوارق ومنهم الرهبان الثلاثة: ريتشارد richard، وبوبلار pouplard وموراmorat قرب غدامس عام ١٨٨١م»(**Le capitaine bagolle ; (1887) ..p55**).

أخيراً، فإن الصحراء الجزائرية بمساحتها البالغة اثنين مليون (٠٢ كلم٢) لم تكن لتُمثل إلا نصف الصحراء "الفرنسية" البالغ مساحتها أربعة ملايين (٠٤ كلم٢) والتي كانت تشمل فيما تشمل صحراء كل من تشاد والنيجر ومالي وموريتانيا. ويكفي أن نلقي نظرة على الخريطة السياسية لإفريقيا لندرك شساعة هذه المساحة وأهميتها الحيوية والإستراتجية، فمن الناحية السياسية نجد أن للصحراء الفرنسية حدودًا مع أكثر من ثمانية بلدان أفريقية، ومن يتحكم في هذا الفضاء الجغرافي سيتحكم مستقبلاً في مصير أفريقيا ككل، أما من الناحية الاقتصادية، ولا سيما بعد أن خطَّت الأبحاث الجيولوجية والجيوفيزيائية خطوات عملاقة في دراسة هذه المناطق، فإن الصحراء لم تعد عند الفرنسيين عبارة عن مساحات لا متناهية من الرمال، بل هي شيئ آخر ثمين، يتمثل في موارد باطنية، معدنية وطاقوية لها أهميتها مستقبلاً.

ثم هي بعد كل ذلك من وجهة نظر عسكرية، رقعة إستراتيجية حساسة. فهي بشساعتها وقلة سكانها ميدانًا مثاليًا لاختبار الأسلحة الحديثة كالقنابل النووية والذرية والصواريخ البعيدة المدى، ولا سيما فيما يتعلق بدولة تبحث لنفسها عن مقعد بين " الكبار ".

وحول ما يمكن أن تُمثله الصحراء للفرنسيين، كتب الجنرال كاترو (General Catrow) في مجلة (Hommes Mondes): «بموقعها الجغرافي، وبمواردها الباطنية التي بدأت تتكشّف شيئًا فشيئًا، فإن الصحراء بذلك تُمثل رقعة إستراتيجية ليس من حق فرنسا التنازل عنها. فهي ملتقى للطرق الجوية والبرية التي تجمع بين مختلف المجموعات الإفريقية لمستعمراتنا؛ وهي أيضًا بمثابة قطعة التجميع (Pièce d'assemblage) لهذه المناطق... فهي إذن "إقليم مفتاح" لهذه المناطق... لذلك يجب إلحاقها بفرنسا، والدفاع عنها، وتجهيزها، واستغلالها صناعيًا. بما يعني تسييرها ومنحها ميزانية ذاتية.. وبسبب دورها في الدفاع، وبسبب الدور المرشحة لأن تؤديه في مجال الاقتصاد لفرنسا ولباقي مستعمراتها، يمكننا أن نسمي الصحراء بالإقليم الإمبريالي، وهذا يعني أن الصحراء لا يمكنها أن تكون إلا أرضًا فرنسية كاملة السيادة، وتابعة مباشرة للحكومة الفرنسية بفرنسا. كما يجب على هذه الحكومة أن تُموّل إدارة هذه المناطق وأن تعمل على تثمين مواردها الطبيعية... إن إلحاق الصحراء بفرنسا هو في رأيي القرار الذي يجب أن تتخذه الحكومة الفرنسية» (**Hommes et Mondes, n°61, août 1951, p. 438**).

ثالثا: مظاهر عمليات إخضاع الصحراء الجزائرية من منظور الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية.

بداية وقبل التفصيل في خطة الكولونيالية الفرنسية في تنفيذ استراتيجيتها التوسعية على أرض الصحراء الجزائرية، نجد أن الإدارة الاستعمارية كانت وبنظرة استراتيجية متناغمة مع

مـا كانـت تقـوم بتنفيـذه فـي الجزائـر (إجـراء الدراسـات الأنثربولوجيـة والاثنيـة والطبيعيـة والاقتصـادية الشـاملة قبـل التحـرك العسـكري)، تعمـل بالمنهجيـة نفسـها فـي مجمـل الصـحراء الكبرى الإفريقية لتثبيت هيمنتها، فبعد أن اتضحت لها الرؤية الشاملة للمنطقة ككل قامت بثلاث حملات نالت شهرة في أواخر القرن التاسع عشر لأنها اكتشفت معظم الصحراء الكبرى وضمتها إلى الإمبراطورية الفرنسية وهي: حملة إيميل جنتيل(Gentle Email) في أعوام ١٨٩٥م، و١٨٩٧م، و١٨٩٩م، و١٩٠٠م للتعرف على مصبات الكونغو وأودية مياه التشاد، اذ تنقلت الحملة العسكرية بين الكونغو وأوبانفي وتشاري ووادة ونانة وفريبينفي، وبمجرد أن تصدى لها سلطان بورنو وأتباعه بمقاومة شرسة قررت الانسحاب إلى بينوي بعد أن أخضعت بافيرمى وضمتها إلى السيطرة الفرنسية، أما الحملة الثانية فكانت بقيادة فولي شانوان وجولان مينيي (Fuli Shanwan and Golan Minnie) إلى إفريقيا الوسطى بين عامي ١٨٩٩م و١٩٠٠م وكان هدفها دراسة الحدود التي وضعت بين مناطق النفوذ الفرنسي والإنجليزي، وأخيراً «الحملة الثالثة بقيادة فورد ولامي(Ford and Lamy) في عامي ١٩٩٨م و١٩٠٠م وهي أهم هذه الحملات جميعًا، فقد كان فيردناند فورد قد شرع في غزو الصحراء الكبرى منذ عام ١٨٧٦م وقام بحوالي ثماني رحلات فيما بين عامي ١٨٨٢م و١٨٨٧م بتكليف من وزارة الأشغال العامة، كما حاول عام ١٨٨٧م أن يصل إلى منطقة الآير بالأهقار ولكن التوارق واجهوه وقاوموه بشدة فاضطر إلى أن يقطع رحلته ليعود خائباً مخافة أن يكون مصيره كمصير فلاتر الذي قتله التوارق»(**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص٧٠**).

إن من أهم المراحل التاريخية في تاريخ الصحراء الجزائرية –كما ذكرنا سلفاً– هي مرحلة التوسع الاستعماري الفرنسي لأن السياسة الفرنسية في الصحراء كانت تقوم من بدايتها إلى نهايتها على مبدأ فصل الجنوب الجزائري على شماله، وما إخضاعه لنظام إداري عسكري مميز إلا دلالة واضحة هدفها تحقيق هذه الغاية، فضلا عن تسهيل التوسع في أفريقيا الجنوبية، وتحقيق منافذ إستراتيجية لربط القطاعات الاستعمارية الفرنسية مع بعضها وفقا لمبررات ودواع لا يقرها الواقع الجيوبوليتيكي للمنطقة، ونلمس هذه السياسة فيما اتبعته فرنسا من حملات عسكرية وجهتها إلى أنحاء البلاد بما فيها الصحراء الجزائرية، وفيما قامت به من ملاحقات واعتقالات في حق من عارض هذه السياسة، وبجانب هذه الحملات العسكرية، كان الاهتمام العلمي والاستكشافي الفرنسي هو الآخر كبيرًا بالصحراء، لأن احتلالها للصحراء ينسجم مع رغبتها في «أن تربط الجزائر عبر الصحراء بمستعمراتها في إفريقيا الغربية، وخصوصا بمالي الذي احتلته في سنة ١٨٨٠م، والسنغال الذي استقر لها الأمر فيه منذ سنة (١٨٥٦– ١٨٥٧)م، على أن ثورة أولاد سيدي الشيخ التي بدأت في سنة

١٨٦٤م، واستمرت بعد ذلك جيلاً كاملاً، كانت من الشدة والشمول بحيث تُشكّل حاجزًا منيعًا لتوغّل الاستعمار في اتجاه الصحراء»(**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص٧٠**).

لقد كانت عملية احتلال فرنسا للمدن الكبرى في شمال الجزائر مُكلفة بشريًا وماديًا؛ فقد كانت كل ثورة شعبية تلد من رحمها ثوارات أكثر عنفاً ومقاومة، فما أن تُخمد إحداها إلا وتنفجر في وجهها ثوارات غيرها، وطال عليها الأمر فكانت فوق كل توقعات قياداتها العسكرية ونخبها السياسية التي راهنت على احتلال كامل البلاد في ظرف أشهر قليلة فإذا بها تصل إلى عشرين (٢٠) سنة من دون هيمنة أكيدة، وفي كل هذه المواجهات كانت الصحراء تمثل لهذه المقاومات الشعبية المدد والسند وخط الدفاع الأخير، والملاذ الذي يلوذون به عندما يضيق عليهم الخناق، إن هذين العاملين جعل فرنسا تستعجل في استراتيجيتها في التوسع والانتشار، فمباشرة بعد نهاية مقاومة الأمير عبد القادر سنة ١٨٤٧م، شرعت في تغيير منهجيتها في الإنتشار وأدركت أن لا هيمنة شاملة على الجزائر إلا باستكمال الاحتلال على كل الصحراء.

فقامت بمباشرة احتلال كل المناطق المتاخمة للصحراء والقريبة من الساحل كمنطقة الزيبان، والأغواط، وواد سوف، وورقلة وغيرها بعد مقاومات عنيفة؛ لكن تجري الرياح بما لا تشتهي استراتيجية الفرنسيين فقد قوبلت في هذه المناطق بمقاومات أكثر عنفاً من سابقاتها كثورة الزعاطشة عام ١٨٤٨م جنوب شرق الزيبان، ومقاومة بن ناصر بن شهرة عام ١٨٥١م في الجنوب الشرقي لورقلة والتي دامت ربع قرن، ولكن أطول المقاومات عمراً هي مقاومة الشيخ بوعمامة (١٨٨١- ١٩٠٤)م بالجنوب الغربي وغيرها.

عموماً فإن موضوع التوسع الإستعماري في الصحراء الجزائرية يُمثل حلقة مهمة من حلقات تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ونظرًا لصعوبة هذا الموضوع وتشعبه فإني سأسعى إلى إجماله، وهذا بتقسيم عملية الإحتلال إلى أقسام عدة تتوافق مع جغرافية الصحراء. مع التركيز على عناصر الإستراتيجية الكولونيالية الفرنسية المطبقة في عملية الاحتلال.

فالصحراء الجزائرية شهدت مع مطلع النصف الثاني من القرن ١٩م العديد من الثورات والتي امتدت من أولاد سيدي الشيخ غربًا إلى منطقة وادي سوف شرقًا، اذ شملت هذه الثورات أنحاء واسعة من الصحراء وكبدت العدو خسائر فادحة.

فيما يتعلق بالقسم الغربي من الصحراء الجزائرية إلى غاية التخوم المغربية وأملاً في المزيد من التوسع أنشأت السلطة الفرنسية مراكز عسكرية عدة بين ورقلة والمنيعة وظلت اتفاقيتها مع بني ميزاب تعيق تحركاتها العسكرية المشبوهة، وعندما أدركت عدم جدواها معهم قامت بالزحف على بني ميزاب سنة ١٨٨٢م وهو ما فتح الباب لمواجهات دامية بين الميزابيين والفرنسيين ولكن الغلبة كانت لجيش الإحتلال الفرنسي، «الذي تمكَّن في سنة

١٨٩١م من اقتحام المنيعة وتأسيس مركز عسكري دائم بها، ومن المنيعة قررت احتلال عين صالح وواحات توات، ولتحقيق ذلك شرعت في تشييد العديد من المراكز العسكرية والحصون المنيعة في قلب الصحراء ، والتي من أهمها " حصن ماريبال" في حاسي شبابية على بعد ١٣٥ كم جنوب المنيعة – على طريق عين صالح عبر تادميت –وحصن "ماكماهون " في حاسي العمار على بعد ١٦٥ كم جنوب غرب المنيعة في واد مقيدات على طريق قورارة» **(مياسي (إبراهيم)، (١٩٩٦م)، ص١٠٧)**.

«لقد قامت القوات الفرنسية في سنة ١٨٩٧م بنقل مركز دائرة أقصى الجنوب من غرداية إلى المنيعة ومن هناك بدأت ترسل في بعثاتها نحو الجنوب . فعلى سبيل المثال أرسلت يوم ١٨٩٩/١١/٢٨م بعثة من ورقلة نحو عين صالح والتي وصلت يوم ١٨٩٩/١٢/٠٩م إلى حاسي إينفل، وفي يوم ١٥ ديسمبر وصلت حاسي السوقي وغادرته يوم ١٨ ديسمبر لتلتحق بحاسي المقر ومنه إلى رق أجماد وواد مسين، وفي يوم ١٨٩٩/١٢/٢٦م وصلت فقارة الزوا، وفي الأخير حطَّت رحالها بواحة إيقوستين»**(مياسي (إبراهيم)، (١٩٩٦م)، ص١٠٩)**، «أما يوم ١٩٠٠/٠١/١٨م فقد وصلت إلى القصر الكبير، وبعد مواجهات دامية مع الثوار تمكنت من الدخول إلى عين غار يوم ١٩٠٠/٠١/٢٤م، وطلبت من السكان الخضوع، إلا أنها واجهت مقاومة شرسة مما دفع بوزير الحربية أن يصدر أوامره بالعودة إلى عين صالح، ثم شرع يُخطط لعمليات قادمة أهمها احتلال إيغلي بواسطة طابور" برترون" (Bartron)، وفي يوم ٢٥ مارس وصل "دوفيربية" (Doverbey) وانحدر مع واد زوزفانة ودخل إيغلي دون حوادث، إذ تمكَّن من احتلالها نهائيًا يوم ٠٥ أفريل ١٩٠٠م» **(مياسي (إبراهيم)، (١٩٩٦م)، ص١١٢)**.

أما في القسم الشرقي فقد كانت البداية بتدفق التجار الجواسيس الفرنسيين على سوق تقرت، والقيام ببعثات عدة أهمها التي قام بها " هنري" و" ديفيري" (Henry and DeVery) في سنة ١٨٥٩م –وهما من أنصار السانسيمونية – «حيث أدركا من خلالها مدينة القليعة ووصلا حتى منطقة التوارق حيث دخلا في حمايتهما كثيرون وطلب منهم السماح للفرنسيين بزيارة سوق غدامس، وقبل أن تُوطد هذه البعثة نفوذها في المنطقة جابهتها العديد من المقاومات كان أبرزها معركة تبسة في شهر أكتوبر ١٨٥٣م»**(سعد الله (أبو القاسم)، (١٩٩٢م)، ط٤،ج٢، ص ٣٨٢)**.

إن التوغل في هذا القسم يختلف عن القسم الغربي لكونه غنيا بالسبخات والتي أعاقت في كثير من الأحيان تقدم القوات الفرنسية، ولذلك فهذا القسم شهد معارك حاسمة بين الجزائريين والفرنسيين. ولتحقيق مزيدًا من المكاسب قامت فرنسا بفرض الحماية على تونس

في سنة ١٨٨١م، وأملاً في السيطرة على الجهة الشرقية من الصحراء أرسلت فرنسا العديد من البعثات منها بعثة الكولونيل "فلاتر" إلى التوارق والتي قتل فيها.

وبعد بعثة " هنري – ديفيري" ومقتل الرجال التسعة في بعثة " فلاتر" الثانية عام ١٨٨١م من طرف التوارق كثَّف الفرنسيون جهودهم لاحتلال المنطقة وضاعفوا من إرسال البعثات والحملات والتي من أهمها: حملة "إيميل جانتيل –السابقة الذكر– "في سنوات ١٨٩٥م، ١٨٩٧م، ١٨٩٩م، ١٩٠٠م والتي كانت قد انطلقت من حوض الكونغو، وحملة " فورولامي" (Furolami) بين عامي ١٨٩٨م – ١٩٠٠م، وضمت حوالي ٢٩٦ عسكريًا غادرت منطقة صدراته ووصلتها يوم ١٨٩٩/١١/١٢م، اذ خاضت قبائل التوارق ضدها معارك حاسمة كمعركة "أزجير" في شهر جانفي ١٩٠٠م، التي كبَّدت الإستعمار الفرنسي العشرات من القتلى والأسرى، لتضطر الحملة إلى التراجع نحو تشاد بدلاً من العودة إلى مقرها الأول.

وبعد فشل حملاتها العسكرية في إختراق الجنوب الشرقي للصحراء حاولت الإدارة الاستعمارية الفرنسية أن تُعدل من استراتيجيتها فغيَّرت نهجها العسكري وعملت جاهدة على كسب التوارق إلى جانبها، «ولعل ما قام به "الراهب ميشال دي فوكو "(Michel de Foucauld) خير دليل على ذلك، كما حاولت ربط التوارق بنظام سياسي فرنسي في إطار ما عُرف بالسياسة الفونكوترتية» (**Servan Des Plans .,A,P3**)، إن هذا الإجراء كان قد مهدت له من قبل بإبرامها لمعاهدة غدامس الشهيرة في ٢٦ نوفمبر ١٨٦٢م مع شيخ التوارق إيخنوخن.

ليكتشف أهل الصحراء النوايا الحقيقية للفرنسيين بمجيء المقدم " فلاتر" –السابق الذكر– سنة ١٨٨٠م إلى الأهقار، وهو مادفع بتوارق أزقار، والأهقار، وكال قرسي، وكال أوات، وكذا توارق تامبوكتو في مدينة غات إلى إعلان المقاومة تجاه أي محاولة أوروبية للتغلغل في الصحراء، فخاضوا معارك دامية ضد الفرنسيين لعل أهمها: (معركة جانت عقب دخول عين صالح)، و(معركة تيت يوم ١٩٠٢/٠٥/٠٧م)، و(معركة تامنراست سنة ١٩٠٤م)، و(معركة إيليزي سنة ١٩٠٨م)(**بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، ص ٧٢**).

أما في القسم الصحراوي الغربي الجنوبي فقد جرت معارك عدة لعل من أهمها: (معركة واد إيسلي بالمغرب الأقصى) والتي انتهت بتوقيع معاهدة لالة مغنية، و(معركة مولاق ١٨٨١/٠٥/١٩م)، و(معركة الجندر سنة ١٨٨٢م)، و(معركة مغرار سنة ١٨٨٦م) (**خليفي (عبد القادر)، (٢٠٠١م)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع.١، ص١٩١**)، و(معركة قورارة وتوات واحتلالهما في يوم ١٩٠٠/٠٤/٢٧م)(**مياسي (إبراهيم)، (١٩٩٦م)، ص١١٥**) – **يراجع ، مولاي التهامي غيتاوي، (٢٠٠٦م)، ص– ص**(٦٨ –٧٨)).

وخلاصة القول إن الكولونيالية الفرنسية وفي أثناء عملية توسعها في الجنوب والصحراء الجزائرية استعملت أساليب متعددة نذكر منها للإشارة فقط ما يأتي :

- تفتيت المجتمع الجزائري إلى ثلاثة أقسام ووفقالقاعدة فرق تسد؛ قسم أعلن صراحة عن موالاته لها، وقسم أعلن عن مقاومته لها، وقسم ثالث وهو قليل جدًا ركن إلى الحياد، أما القسم الأول فقد اسهم بطريقة غير مباشرة في ترسيخ أقدام الفرنسيين بالتراب الجزائري.
- إثارة النزاع والشقاق بين الأسر الكبيرة في كل إقليم.
- النفي والإبعاد لكثير من زعماء المقاومة .
- تطبيق الحصار الإقتصادي على المدن والقرى المقاومة مما أدى إلى تدهور وضعية السكان المعيشية فأصبحوا يعانون الفقر والمجاعة والأمراض الفتاكة، لا سيما بعدما صودرت كل ممتلكاتهم، مما أدى في الأخير إلى تناقص عدد السكان. فمثلاً: كان سكان واحات قورارة وتوات وتيديكلت في حدود أربعمائة ألف نسمة عند منتصف الثمانينيات من القرن ١٩م، وبعد الحصار وسياسة الأرض المحروقة أصبحوا بحسب تعداد سنة ١٩٠٦م دون الستين ألف نسمة **(مياسي (إبراهيم)، (١٩٩٦م)، ص .ص(١٢٤-١٢٥) – يراجع أيضاً، ، أحمد عبد العزيز، (ب.ت)، ص.ص(٣٧ – ٤٢))**.
- دفع السكان إلى الهجرة والنزوح خارج التراب الوطني على الرغم من أن الإنسان الجزائري في الجنوب متمسك بأرضه على الرغم من قساوة الظروف الطبيعية والأمنية فيها.

ومن الخطوات الإستراتيجية التي اعتمدتها سلطة الإحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية هو تجنيد أفراد من سكان الصحراء الموالين لها، فقد عملت على تكوين قوات "هجانة الصحراء" وراعت في اختيارهم وتنظيمهم نفس الشروط والأسس التي حاول الانجليز تطبيقها على الحدود المصرية السودانية وفي مديرية دنقلة على الخصوص حين عزموا على إنشاء القوات غير النظامية، «ذلك أنها تركت هؤلاء المتطوعين في جماعات مرتبطة بالقبائل وتحت إشراف شيوخها الذين كانت تُزودهم بالأسلحة والذخائر وتدفع رواتبهم وترسل إليهم ضباط الصف والضباط الذين يعملون على قيادتهم في المعركة، وهكذا أصبحت لهم قوة تمتاز بسرعة الحركة مثل سكان الصحراء أنفسهم وتمتاز عليهم بحسن التنظيم وقوة الأسلحة النارية»**(يحي (جلال)، (١٩٥٩م)، ص ٢٠٤)**.

وأحسن من انتهج هذه الاستراتيجية في إخضاع الصحراء الجزائرية من القادة العسكريين الفرنسيين هو الكولونيل ليوتي (Colonel Liotti) قائد منطقة عين الصفراء في الجنوب الغربي للجزائر، إذ كان قد تمرَّن على أعمال مماثلة في الهند الصينية وفي مدغشقر، فقد كان يُؤمن أن احتلال أي منطقة من دون السيطرة سيطرة تامة على أهاليها سيؤدي من ثم

إلى ثورات وحركات مقاومة تعجز جيوش الاحتلال عن الصمود أمامها لفترات طويلة ولم يكن معنى ذلك أنه استغنى عن الاحتلال العسكري أو خلق المراكز والنقط الإستراتيجية «لكنه اعتمد على قوات الشؤون العربية في الاتصال بالأهالي، وتهيئة الجو المناسب مع شيوخهم قبل احتلال المنطقة، كالعمل على ربط مصالحهم بصورة أو بأخرى بمصالح المحتل الجديد، وسمَّى هذه الفرق المتعاونة مع المحتل بـ (الگـوْمِيَة)، إذ عمل على تدريبهم وتجهيزهم بشكل يسمح لهم بخفة الحركة حتى يتمكن من الانتصار على العرب سكان البلاد» ((**Chaoui abdesselem , 1991-1992 (90 pages)**).

وهكذا عمل ليوتي على احتلال المنطقة الجنوبية الشرقية من المغرب الأقصى بقوات عربية تستغلها فرنسا في بناء إمبراطوريتها وفي توسيع رقعة الجزائر المحتلة في وقت سادت فيه الفوضى والضعف والمشاكل الداخلية في مملكة مراكش، وكانت أولى المناطق التي حاول الفرنسيون ضمها في الصحراء الجزائرية إنطلاقًا من الأراضي المغربية هي منطقة بشار كولومب، اذ أرسل ليوتي قواته إليها ومعها فرق الگـوْمِيَة والزواف في سنة ١٩٠٣م وأنشأ أحد المعسكرات المحصنة إلى الغرب من الجبل المعروف بهذا الاسم، «وأصبح المعسكر فيما بعد يُعرف باسم كولمب بشار وسيتطور مع الزمن إلى أن يصبح هذا مدينة قائمة بذاتها تزداد أهميتها مع الوقت، ومع تطور الأحداث أصبحت كولمب بشار رأس سهم للقوات الفرنسية في جنوب شرق المغرب وكان معنى هذا أن فرنسا قد أخذت في تطويق هذا البلد العربي استعدادًا لعزله ثم الانقضاض عليه»، وقد سارت سياسة فرنسا التوسعية على هذا النسق (دعم الفرق العسكرية الفرنسية النظامية بفرق من خونة الوطن) في الاتجاه الجنوبي الغربي في الوقت نفسه الذي عملت فيه فرنسا على الاتساع جنوبًا وإلى الجنوب الشرقي صوب الحدود الليبية الجنوبية وصوب إقليم فزان.

«وهكذا نرى أن السهم الفرنسي الذي امتدَّ من الجزائر جنوبًا قد تفرَّع منه فرعان جانبيان، أحدهما حول مراكش والثاني حول ليبيا، وفي توافق مع الأسهم الفرنسية التي امتدت في أوائل هذا القرن من أفريقيا الغربية الفرنسية شرقًا، ومن أفريقيا الاستوائية شمالاً للاستيلاء على الصحراء الكبرى وهي التي اعترفت بها انجلترا كمنطقة نفوذ فرنسية»(**للتوسع يراجع:- شارل (أندري جوليان)، (١٩٧٨م)، ص ٣١٥**).

ثم قامت القوات الفرنسية في عين صالح بالتوسع في بلاد الأهقار، اذ اعتمد الفرنسيون في هذه العملية على قيادة منفصلة عن قيادة ليوتي، ولكن بقوات خفيفة الحركة مثل قواته، وأسرعت هذه القوات الاستعمارية الخفيفة بالالتحام مع قوات التوارق في بعض المعارك ثبت فيها تفوق الأسلحة الاتوماتيكية الفرنسية، «حيث مدَّ الفرنسيون منطقة نفوذهم في الشرق صوب غات وغدامس ولكنهم لم يتمكنوا من السيطرة على هذه المنطقة تمامًا إذ أن هذين

الموقعين كانا خاضعين للسلطات العثمانية في طرابلس، وكانا في حقيقة الأمر مركزين للمقاومة العربية الإسلامية في شمال إفريقيا، ولم يتمكن الفرنسيون من إخضاع المناطق المجاورة لهما إلا بعد نزول القوات الايطالية في طرابلس في سنة ١٩١١م وانشغال العرب بمحاربة هذا العدو الجديد الذي جاء من الشمال مع الأعداء القدامى الموجودين في الغرب منذ بضع سنوات»(**Chaoui Abdesselem ,Op.cit ; p 90**).

هذه الأساليب القمعية وغيرها اسهمت إلى حد بعيد في مدّ التوسع الكولونيالي الفرنسي ليس نحو الجنوب الجزائري فحسب بل طال حتى دول الجوار كتونس في سنة ١٨٨١م، والمغرب الأقصى في سنة ١٩١٢م، وبقية الدول الإفريقية المتاخمة للجزائر كمالي والنيجر وتشاد، ومنه فقد نجحت هذه الإستراتيجية الإستعمارية من بسط سيطرة فرنسا على جزء كبير جدًا من الصحراء الإفريقية الكبرى، وبالتالي ظلت مستغلة لثرواتها الطبيعية والبشرية والاقتصادية إلى غاية مطلع النصف الثاني من القرن العشرين.

وحينما استولى "كامبون" (Cambon) على السلطة، أخذ في تهيئة الطريق وإعداده، وضم تحت سلطته إدارة شؤون الأهالي التي كانت ملحقة قبل ذلك بقيادة المقاطعات في الجزائر ووهران وقسنطينة، إذ كانت تعمل على غير توافق فيما بينها، بل وفي تضارب في كثير من الأحيان، ثم أعلن وزير الخارجية أمام الجميع ومن منصة مجلس النواب أنه من الضروري احتلال تلك المجموعة، التي تقع في جنوب غرب الجزائر وادعت أن الطرق الصوفية المعادية لفرنسا قطاع طرق وخارجين عن القانون، واستشهدت في ذلك بالشيخ بوعمامة الذي التجأ إليها ولم تخف أنها قد اضطرت إلى الاعتراف بسيادة الباب العالي على غات وغدامس «مما لا يترك لها في الصحراء الكبرى إلا هذه الواحات للتوسع فيها، واتخاذها قاعدة لمدِّ نفوذها على الصحراء وفي قلب إفريقيا، وإلا فإن المعاهدة المعقودة مع انجلترا بخصوص الجزائر ستصبح غير ذات قيمة مادامت هذه غير خاضعة لفرنسا»(**يحي (جلال)، (١٩٥٩م)، ص ٢٠٢.**)، وكانت فرنسا في الواقع تحارب من أجل السيطرة على مراكز المقاومة في الجنوب عن طريق تدجين أكبر الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، كتسخيرها لشيخ الطريقة الدينية الوزانية الذي قبل أن يتعاون مع الفرنسيين، اذ كان له نشاط حثيث لصالحهم في مراكش وتوات، وبالفعل استطاع أن يستميل نظرائه من شيوخ الطرقية حتى يتعاونوا مع الفرنسيين، كما قام الفرنسيون بمجهود مماثل مع الطرق الصوفية الموجودة في الجنوب الشرقي، والذين كانوا يتمتعون بالنفوذ والسيطرة على رجال التوارق.

وساعدت الفرنسيين على تنفيذ خططهم سهولة توغل قواتهم الاستعمارية في منطقة إفريقيا الغربية، وهكذا تمكنوا من حصر الصحراء الجزائرية بين القوات القادمة من غرب إفريقيا بتلك الآتية من الشمال، ثم منحتها «اتفاقيتي مارس ١٨٩٨م، ويونيو١٨٩٩م مع

انجلترا، أراضي جديدة في الصحراء الكبرى مثل: وداي، وتشاد، وتبنى، ثم تبع احتلال تمبكتو وتشاد؛ القضاء على إمبراطورية "رايخ"، وبهذه الخريطة أضحى السودان الفرنسي متاخمًا لحدود الجزائر الجنوبية»(**فليب (رفله)، (١٩٦٥م)، ص ١٥٧**)، ومنه فقد سارت فرنسا بخطوات واسعة في توغلها في الصحراء، ولا سيما في المدة الواقعة بين سنتي (١٩٠٠–١٩١٢)م، «وكوَّنت إمبراطوريتها الإفريقية وتمكَّنت من وصل ممتلكاتها ومستعمراتها الواحدة بالأخرى، لتختم هذه السنوات باستيلائها على مراكش سنة ١٩١٢م، ونجحت بهذه الطريقة في السيطرة على كتلة مهمة من أراضي القارة الإفريقية»(**فليب (رفله)، (١٩٦٥م)، ص١٥٧**) مستخدمة في ذلك القوة تارة والغدر والخديعة ونكث العهود تارة أخرى.

وهكذا كان توسع فرنسا في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي من الجزائر تمهيدًا لفرض حمايتها على كل من تونس ومراكش، اذ نجحت في الاستيلاء على كل شمال إفريقيا (**الأشرف(مصطفى)، (١٩٨٣م)، ص– ص (٢٦١ –٢٦٣)**) ، ولم تكن في حقيقة الأمر تسعى إلى شيء سوى للسيطرة السياسية والاقتصادية والبشرية على الصحراء الكبرى، ثم العمل على تأميمها ووضعها في خدمة فرنسا وإمبراطوريتها.

لقد انبثقت عن كل هذه الاعتبارات المذكورة آنفا نظرة جديدة للصحراء عند الفرنسيين، نلمسها جيدًا مع بداية الخمسينيات من القرن العشرين، وهي المدة التي شهدت بلوغ الوعي الوطني أوجه لدى سكان المستعمرات الأفريقية، ومهَّدت لاحقًا الطريق لبروز الحركات الوطنية الثورية في أقطار الصحراء الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية، فكان أن امتزجت هذه الرؤية الجديدة للصحراء بشيء من المخاوف والقلق على مستقبلها(**Etudes , Cahiers .Sociales Nord Africaines, (septembre –octobre 1954) Nord Africains n° 41, , 51 p., p. 10.**). ذلك أن الفرنسيين الذين أنشاوا الاتحاد الفرنسي سنة ١٩٤٦م، على غرار الانجليز الذين أنشاوا الكومنولث، لم يتوصلوا إلى حل شامل لمشكلة المستعمرات الإفريقية حتى يتسنى لهم إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

إن أحسن ما يعكس ويُعبر عن هذه المخاوف، وهذا القلق لدى الفرنسيين في هذه المدة هو ذلك المقال التاريخي الذي كتبه مهندس الري السيد "إميل بليم" (Emile Plame) سنة ١٩٥١م، والذي طرح في معرض تحليله النقدي لمستقبل الإتحاد الفرنسي، مسألة "الصحراء الفرنسية ". فقد كان أول من دعا إلى " **تأميمها وإعلانها أرضًا وطنية فرنسية**" وإلحاقها رسمياً بفرنسا بهدف فرض أمر واقع قبل أن تؤول الأمور إلى ما لا تحمد عقباه. إذ كتب في ذلك : « إلحاق، إلحاق، وليس إتحاد. ليكن عندنا من الحكمة والحزم ما نُجنب به صحراءنا –آلاسكا فرنسا – المخاطر والصعوبات المستقبلية –يريد بذلك المخاطر التي قد

تنجم عن استقلال محتمل للأقطار المتاخمة لها- إن تقسيم الصحراء إلى عدة كيانات ووحدات إدارية مختلفة ومتعددة، والذي سيتم بطريقة الاتفاقية أو بطريقة تلقائية بحتة، لن يكون الهدف منه إلا تسهيل إدارتها وتسييرها. ألا فلتدمج هذه البراري الشاسعة في فرنسا لتزيد من امتدادها. ألا فلتمارس فرنسا و بلا قيد حقوقها كأمة حرة ثم فليعترض بعد ذلك من يريد الاعتراض»(**Emile BELIME, (mai 1951) n°58, , pp 672-688, p.681; Sée also- Emile BELIME, (1955). p187.**)

إن ما كتب خلال الحملة الصحفية للدعاية لهذه المسألة على صفحات مجلة ( ) Hommes Mondes والتي تناوب على تحريرها نخبة من كبار المفكرين والسياسيين والعسكريّين من أمثال: الجنرال كاترو (General Catroux)، وروني فلات(Ronnie Flat)، وأندري ريموند (Andre Raymond) والجنرال أوكتاف منييه (General Octave Menier) **وغيرهم(Look, Hommes et Mondes, n°s: 60, 61, 62, 63, 64, 65, 1951)**، لن تتسع له صفحات هذا البحث.

وسنكتفي بما كتبه الصحفي اليميني برنارد سميو (Bernard Smo) رئيس تحرير مجلة (Hommes Mondes) إذ كتب في المجلة نفسها ما يأتي: «سوف نرى أن الصحراء قد تم تقسيمها من طرف الحكومة الفرنسية، وجُعلت لها حدودًا اعتباطية واتفاقية بطريقة غير متبصّرة. ذلك أنه في تلك الفترة كان مفهوم الإمبراطورية يبدو خالدًا، أما الآن فإن الزمن قد تغيّر. وكما أنشأنا الإتحاد الفرنسي فإنه من الضروري بمكان أن نشير إلى أن الصحراء لم تكن في يوم ما من الأيام لتنتميَ لأي من الدول أو الجمهوريات المستقبلية للإتحاد الفرنسي، لذلك فلا يجب أن نخلق بسبب وقائع إدارية صرفة حدودًا إقليمية مزعومة، ولنفصل من الآن بين ما هو لفرنسا وما كان بالأمس لمحمياتها، ففرنسا هي من أخذت على عاتقها عبء هذه المناطق وبذلت بسخاء من ذهبها ومن غالي دمها لأجل تطويرهم وتحضيرهم. بالنسبة لنا فإن الشيء المؤكد هو أنه يجب على فرنسا إلحاق الصحراء بها، وتحويلها إلى أرض وطنية. على قدم المساواة مع كورسيكا وبروتان. تمامًا مثلما فعلت الولايات المتحدة عندما قررت ضم آلاسكا لتجعل منها ولايتها التاسعة والأربعين»

Bernard (Simiot), (, juillet 1951). , in Hommes et Mondes, ( ).(n° 60, pp. (161-164).

ويبين لنا الصحفي نفسه أبعاداً و ثِمارًا أخرى لإقدام فرنسا على إلحاق الصحراء بها وإعلانها أرضًا وطنية: «...بتأميمنا للصحراء، بمعنى إلغائنا للتقسيم الإداري الحالي الموجود بها، بما يجعلها رقعة واحدة ملحقة مباشرة بفرنسا. فإن المخاطر السالفة الذكر سيكون لا محل لها ولا خوف منها. فالصحراء الموحّدة عندئذٍ لا يمكن أن تكون جملةً موضوعًا

لمطالب إقليمية من الدول المستقبلية، الشريكة في الإتحاد... وعندما نقترح تأميم الصحراء، فإن الأمر لا يتعلق هنا بِفَرْنَسَةِ إقليم بمساحة ثمانية ملايين كيلو متر مربع والذي هو فعلا يُعدُ كذلك، وإنما نريد فقط وببساطة إدماجه رسميًا في فرنسا». (**Hommes et Mondes, n°64, nov. 1951 p. 259**).

الخاتمة:

من خلال الاستعراض السابق للاستراتيجية الكولونيالية الفرنسية في إخضاع الصحراء الجزائرية توصل البحث إلى نتائج عدة وعلى النحو الآتي :

١) إن فرنسا ولتحقيق استراتيجيتها التوسعية في الصحراء الجزائرية كانت بحاجة إلى أكبر قدر من المعلومات عنها حتى تكون عملية الإخضاع أكثر مرونة وأقل تكلفة، لذا تعددت رحلات المستكشفين، والدارسين المختصين والمغامرين، وحاولوا كلهم أن يستغلوا طرق القوافل الصحراوية حتى يستفيدوا منها في تحقيق المشروع الاستعماري، ويفتحوا الطريق للتجارة الفرنسية حتى تتغلغل إلى قلب القارة الإفريقية، كما حاولوا أن يستفيدوا من كتب الرحالة العرب وكبار المؤرخين. ومن ثم وظفوا كل شيئ: الدين والسياسية والاقتصاد والعلم والقوة العسكرية...لتنفيذ استراتيجيتهم الاستعمارية واحتلال الصحراء الجزائرية ومن ثم نهبها وتسخير خيراتها لخدمة المصالح الإقتصادية والسياسية لفرنسا.

٢) ان فرنسا كانت مقتنعة أن ضمان استمرارها في شمال الجزائر مرهون بالسيطرة على الصحراء (فرار المقاومين، رصيد بشري احتياطي)، ولضمان هيمنتها على غرب افريقيا وأفريقيا جنوب الصحراء مرهون هو الآخر بالسيطرة على الصحراء.

٣) أن النشاط المكثف لهؤلاء المستكشفين المغامرين(الجواسيس) أدى إلى ازدياد رغبة الحكومة الفرنسية في احتلال المناطق الصحراوية الغنية بثرواتها الطبيعية الظاهرية والباطنية، وتسهيل مهمة التوسع العسكري من خلال اعتمادها على كتاباتهم عنها.

٤) ان الإستراتيجية الإستعمارية الفرنسية إنما تعود في صياغة معالمها الكبرى إلى ما دوَّنه الضابط الفرنسي "لابي" الذي تمكَّن من وضع خريطة عامة للجزائر ككل وليس الصحراء فقط، حيث أوضح فيها تضاريس المنطقة الجنوبية، وكانت هذه الخريطة أحسن أداة وظَّفها الفرنسيون فيما بعد في التوسع العسكري والمدني والتحكم الإداري والاجتماعي في الصحراء.

٥) أنه وعلى الرغم من الصدى الترحيبي والاهتمام الكبير الذي لاقته دعوات مواصلة استكشاف وضم الصحراء الجزائرية من طرف الأوساط الفرنسية المختلفة طوال النصف الثاني من القرن ١٩م، فقد اقتضى الأمر الانتظار إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية (أي بعد نصف قرن من هيمنتها العسكرية عليها) لتنطلق فعلياً المبادرات الأولى الموجهة

لاستغلال هذه المناطق لما تمثله من أهمية إستراتيجية وحيوية على مستقبل أمن وسلامة فرنسا. لذا جرى الإسراع بتثمين هذه المناطق مثلما أشارت إليه العمليات الاستكشافية والحربية الأولية التي جرت بالصحراء.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

•المصادر والمراجع باللغة العربية:

الكتب:

١. أحمد (عبد العزيز)، (ب.ت)، **صحراؤنا في مواجهة الاستعمار**، دار الرحاب، الجزائر.

٢. الأشرف(مصطفى)، (١٩٨٣م)، الجزائر. **الأمة والمجتمع**، تر:حنفي بن عيسى : المؤسسة الوطنية للكتاب.

٣. الاصطخرى (أبو القاسم ابراهيم الكرخي)، (١٩٢٧م)، **مسالك الممالك (كتاب صور الأقاليم)**، مطبعة بريل، لندن.

٤. إسماعيل (العربي)، (١٩٨٣م)، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

٥. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)، (٢٠١٧م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** (رحلة ابن بطوطة)، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

٦. بوعزيز(يحي)، (١٩٨٠م)، **ثورات الجزائر في القرنين ١٩م و٢٠ م**، قسنطينة: دار البعث

٧. بوعزيز (يحي)، (١٩٩٩م)، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، الجزائر:د.م.ج.

٨. بول(ديمز)، (١٩٨٢م)، **الحضارات الإفريقية**، ط٢، تر. نسيم نصر، بيروت: منشورات عويدات.

٩. جيلالي (صاري)، (١٩٨٣م)، **دور البيئة في الجزائر**، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

١٠. الحفناوي(أبو القاسم محمد)، (١٩٩١م)، **تعريف الخلف برجال السلف**،(ب ط) ،ج١، تق: محمد رؤوف القاسمي الجزائر: موفم للنشر.

١١. حلاق (حسن)، (٢٠٠٠م)، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١٢. حليمي (عبد القادر)، (١٩٦٨م)، **جغرافية الجزائر الطبيعية، البشرية، الاقتصادية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

١٣. دافيدسون، (١٩٦٣م)، **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، تر. م . أحمد، بيروت.

١٤. دياب (أحمد إبراهيم)، (١٩٨١م)، **لمحات من التاريخ الافريقى الحديث**، دار المريخ للنشر.

١٥. ذهني(إلهام محمد علي)، (١٩٨٨م)، **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي**، الرياض: دار المريخ للنشر.

١٦. روكز (يوسف)، (١٩٨٦م)، **إفريقيا السوداء، سياسة وحضارة**، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.

١٧. زيادية(عبد القادر)، (١٩٨٩م)، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

١٨. زناتي(محمد سلام)، (١٩٩٨م)، **الاسلام والتقاليد القبلية في افريقية**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، مصر.

١٩. سعد الله (أبو القاسم)، (١٩٩٢م)، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط٤،ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٠.شارل (أندري جوليان)، (١٩٧٨م)، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تر: محمد المزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس.
٢١.الصديق (حاج احمد) ، (٢٠٠٥م)، **التاريخ الثقافي لإقليم توات**، منشورات مديرية الثقافة، الجزائر.
٢٢.عباس(عبد الله)، (٢٠٠١م)، **الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي ما بين القرنين(١٥ و١٦م)**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر.
٢٣.عبد الله (عبد الرزاق)، (١٩٩٩م)، **الطرق الصوفية في القارة الإفريقية**، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
٢٤.العبودي (عبد الكاظم)، (٢٠٠٠م)، **يرابيع رقان وجرائم فرنسا النووية في الصحراء الجزائرية**، وهران، دار الغرب للنشر والتوزيع.
٢٥.العربي (إسماعيل)، (١٩٨٣م)، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، ب.ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
٢٦.عميراوي (أحميدة) وآخرون، (٢٠٠٤م)، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية**، دار الهدى، الجزائر.
٢٧.عميراوي (أحميدة)، (٢٠٠٤م). **من تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، الجزائر.
٢٨.عميراوي (احميدة)، (٢٠٠١م)، **من الملتقيات التاريخية**، دار البعث، الجزائر.
٢٩.عوض (صالح)، (١٩٩٢م)، **معركة الإسلام والصليبية في الجزائر**، ج٢، ط٢، الجزائر: دار دحلب.
٣٠.الفاعوري(داود علي فاضل)، (١٩٨٩م)، **محاضرات في حضارة العالم الإسلامي**، الأردن: دار الفكر للنشر والتوزيع.
٣١.فليب (رفله)، (١٩٦٥م)، **الجغرافية السياسية لافريقية**، مكتبة الوعي العربي، القاهرة.
٣٢.قداح(نعيم)، (ب.ت)، **حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، ط٢، الجزائر: ش.و.ن.ت.
٣٣.محمد الصالح (حوتية)، (٢٠٠٧م)، " **توات والأزواد**"، ج١، دار الكتاب العربي، الجزائر.
٣٤.محمد (عوض)، (١٩٦٥م)، **السودان الشمالي وقبائله**، القاهرة.
٣٥.محمد فاضل (علي باري)– وسعيد (إبراهيم)، (٢٠٠٧م)، **المسلمون في غرب إفريقيا**، لبنان: دار الكتب العلمية.
٣٦.المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر(م.و.د.ت.ح.و)، (٢٠٠٠م)، **التجارب النووية الفرنسية في الجزائر**، الجزائر، منشورات المركز.
٣٧.موريس (دولفوس)، (١٩٨٤م)، **في دائرة المعارف الإسلامية**، ج٥ ، (س.ز)، ليد.
٣٨.مولاي التهامي (غيتاوي)، (٢٠٠٦م)، **لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بواية أدرار إبان احتلال الاستعمار**، منشورات anep، الجزائر.
٣٩.مؤلف (مجهول)، (١٩٠١م)، **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، باريس، تح. هوداس.
٤٠.مياسي (إبراهيم)، (١٩٩٦م)، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي للجزائر(١٨٨١–١٩١٢)**، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
٤١.ولد السالم (حماه الله)، (٢٠٠٨م)، **المجتمع الأهلي الموريتاني(١٥٩١–١٨٩٨)**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٤٢.يحي (جلال)، (١٩٥٩م)، **السياسة الفرنسية في الجزائر**، دار المعرفة، القاهرة.

المقالات:

٤٣.أبو عمران (الشيخ)، (١٩٩٥م)، "شارل دي فوكو في تمنراست (١٩٠٥-١٩١٦)"، الأصالة، الجزائر.

٤٤.أحمد (مراد)، (١٩٥٩م)، "الجزائر في طريق الاستقلال، (ذكرى احتلال الجزائر)"، دعوة الحق، ع ١٠، وزارة عموم الأوقاف، المغرب الأقصى.

٤٥.بوعزيز(يحي)، (١٩٩٧م)، "وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله"، الثقافة، ع٣٣، الجزائر.

٤٦.خليفي (عبد القادر)، (٢٠٠١م)، فرقة الشيخ بيوعمامة في الجنوب الكبير، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع١٠، دار البعث، قسنطينة.

Sources and references in Arabic:

Books:

1. Ahmed (Abdel Aziz), (PT), **Our Sahara in the Face of Colonialism**, Dar Al-Rehab, Algeria.

2. Al-Ashraf (Mustafa), (1983), **Algeria. The nation and society**, see: Hanafi bin Isa: The National Book Foundation.

3. Al-Asthari (Abu Al-Qasim Ibrahim Al-Karkhi), (1927 AD), **Pathways of the Kingdoms** (Book of Regions Pictures), Braille Press, London.

4. Ismail (Al-Arabi), (1983), **The Sahara Desert and Its Beaches**, The National Company for Publishing and Distribution, Algeria.

5. Ibn Battuta (Muhammad Ibn Abdullah), (2017 AD), **Masterpieces of the Principals in the Strange Things and Wonders of Travel (Ibn Battuta Journey),** Hindawi Foundation, United Kingdom.

6. Bouaziz (Yahya), (1980 AD), **The Algerian Revolutions in the 19 and 20 CE**, Constantine: Dar Al-Baath

7. Bouaziz (Yahya), (1999 AD), **with the history of Algeria in national and international forums**, Algeria: Dr. M.J.

8. Paul (Dames), (1982 AD), **African Civilizations**, 2nd ed., Tr. Nassim Nasr, Beirut: Oweidat Publications.

9. Jilali (Sari), (1983), **The Role of the Environment in Algeria**, 1st Edition, The National Company for Publishing and Distribution, Algeria.

10. Al-Hefnawi (Abu Al-Qasim Muhammad), (1991 AD), **Introducing the successor to the men of the predecessors,** (b i), vol.1, according to: Muhammad Raouf al-Qasimi, Algeria: Mouffem for publication

11. Hallaq (Hassan), (2000 AD), **History of the Islamic Peoples**, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami.

12. Halimi (Abdelkader), (1968 AD), **Algeria's Natural, Human, and Economic Geography**, Bureau of University Publications, Algeria.

13. Davidson, (1963), **Africa Under New Lights,** tr. M . Ahmed, Beirut.

14. Diab (Ahmed Ibrahim), (1981 AD), **Glimpses of Modern African History**, Mars Publishing House.

15. Dhehni (Ilham Muhammad Ali), (1988 AD), **The Jihad of the Islamic Kingdoms in West Africa against the French Colonialism**, Riyadh: Mars Publishing House.

16. Roukoz (Yusef), (1986 AD), Black Africa, Politics and Civilization, University Studies Foundation, Beirut.
17. Zabadia (Abdelkader), (1989 AD), **Arab civilization and European influence in Western Africa, sub-Saharan Africa**, the National Book Foundation, Algeria.
18. Zanati (Muhammad Salam), (1998 AD), **Islam and Tribal Traditions in Ifriqiya,** Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Publishing and Distribution, Egypt.
19. Saadallah (Abu al-Qasim), (1992 AD), **the Algerian National Movement**, 4th Edition, C2, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut.
20. Charles (André Julian), (1978 AD), **History of North Africa**, T: Muhammad Al-Mizali, Al-Bashir Ben Salama, Tunisian Publishing House, Tunisia.
21. Al-Seddik (Haj Ahmed), (2005 AD), **Cultural History of the Touat Region**, Publications of the Directorate of Culture, Algeria.
22. Abbas (Abdullah), (2001 AD), **The civilizational role of the TUAT region and its effects in the countries of Western Sudan between the two centuries (15-16 AD),** Master Thesis, University of Algiers, Department of History, University of Algiers.
23. Abdullah (Abd Al-Razzaq), (1999 AD**), Sufi Orders in the African Continent**, Cairo: Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution.
24. Al-Aboudi (Abdel-Kadhim), (2000 AD), **Rabi` Reggan and France's nuclear crimes in the Algerian desert**, Oran, Dar Al-Gharb for publication and distribution.
25. Al-Arabi (Ismail), (1983), **The Sahara Desert and its Shores**, B. T, Algeria, The National Book Foundation.
26. Amiraoui (Hamida) and others, (2004), **French Policy in the Algerian Sahara**, Dar Al-Hoda, Algeria.
27. Amirawi (Ahmed), (2004 AD). **From the modern history of Algeria**, Dar El Hoda, Algeria.
28. Amirawi (Hmida), (2001 AD), **from the Historical Encounters**, Dar Al-Baath, Algeria.
29. Awad (Saleh), (1992 AD), **The Battle of Islam and the Crusades in Algeria**, Part 2, 2nd Edition, Algeria: Dar Dahlab.
30. Al-Fa'ouri (Daoud Ali Fadel), (1989 AD), **Lectures on the Civilization of the Islamic** World, Jordan: Dar Al-Fikr for Publishing and Distribution.
31. Philip (Rafla), (1965 AD), **Political Geography of Africa**, Arab Consciousness Library, Cairo.
32. Kaddah (Naim), (BT), **The Civilization of Islam and the Civilization of Europe in Western Africa,** Sub-Saharan Africa, 2nd Edition, Algeria: UNT.
33. Muhammad Al-Saleh (Hutiah), (2007 AD), **TUAT and Al-AZAWAD,** Part 1, Arab Book House, Algeria.
34. Muhammad (Awad), (1965 AD), **Northern Sudan and its tribes**, Cairo.
35. Muhammad Fadel (Ali Bari) - and Said (Ibrahim), (2007 AD), **Muslims in West Africa**, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

36. The National Center for Studies and Research in the National Movement and the Revolution of the First of November (M.W.D.T.T.H.O), (2000 AD), **French Nuclear Experiments in Algeria, Algeria,** Center Publications.
37. Morris (Dolphus), (1984 AD), **in the Islamic Encyclopedia**, Part 5, (SZ), Led.
38. Moulay El-Tohamy (Getawy), (2006 AD), **He drew attention to the looting, vandalism and destruction that occurred in Adrar bay during the colonial occupation**, A.N.E.P publications, Algeria.
39. Author (Anonymous), (1901 AD), **Ticket of Forgetting in the News of the Kings of Sudan**, Paris, ed. Hoodas.
40. Mayassi (Ibrahim), (1996 AD), **The expansion of the French colonialism in the southwest of Algeria** (1881-1912), Algeria: Publications of the National Museum of the Mujahid.
41. Ould Al-Salem (may God protect him), (2008 AD**), the Mauritanian Civil Society (1591-1898),** Beirut: Center for Arab Unity Studies.
42. Yahya (Jalal), (1959 AD), **French Policy in Algeria**, House of Knowledge, Cairo.

Articles:

43. Abu Imran (Sheikh), (1995 AD), "**Charles de Foucauld in Tamanrasset (1905-1916**)", Al-Asala, Algeria.
44. Ahmed (Mourad), (1959 AD), "**Algeria on the way to independence**, (the anniversary of the occupation of Algeria)", Da`wah al-Haqq, Vol. 10, Ministry of General Endowments, Far Morocco.
45. Bouaziz (Yahya), (1997), "**Two New Documents on the Struggle of Al-Sharif Muhammad Bin Abdullah"**, Al-Thaqafa, No. 33, Algeria.
46. Khleifi (Abd al-Qadir), (2001 AD), **Sheikh Bou-amama Division in the Great South,** Journal of Prince Abdul Qadir University, vol.10, Dar Al-Baath, Constantine.

Sources and references in French

Books:

47. Andre.(Labarthe).(1957). **Document Sur Lepertel Du Saharo.**
48. Augustin (B) ,(1900). **Et, Lacroix, Histoire De La Pénétration Sankarienne**, Alger
49. Brosselard.(1889). **Les Deux Missions Flatters Au Pays Des Touarg Azedjer Et Hoggar**, Ed, , Librairie Furme, Paris.
50. Cf. Marc-Robert Thomas, (1960). **Sahara et Communauté**, P.U.F, Paris.
51. Chaoui abdesselem , **les marabouts vu par les explorateurs du 19 eme siècle** (mémoire de maitrise) Lille , France 1991-1992.
52. Le capitaine bagolle ; (1887) **.le Sahara d'Ouargla de oued Mia a l'oued igharghar** .Alger.
53. Comerrin (R.), (1965**), «Fulani», Encyclopedia of Islam**, New Edition, Leiden, E.J.Brille, V2,
54. Ferdinand(Camille Dreyfus) and (André) Tertel (1902).**Grande Encyclopedie**. Tome.xxix . Paris

55. Jean (Loyrette) et Jean (Godrd), (1959). **Sahara, Organization Politique et Administrative, Droit Pétrolier, Régime des Investissemen**t, Paris, Société d'Etudes et de Publication Orient, , 3 classeurs, class I.

56. Max(Marchand) (1957) .**Histoire Abrégée de L'Algérie Partie Sahara** . Mars.

57. Michel Mourre .(1986**). Dictionnaire encyclopédique d'histoire**..8V. I3 (découverte). Paris.

58. Lachaire (Franis) ,(1959). **Droit D'outre – Mer** , This , Paris.

59. St- Arnaud,(1978). **Les Premières Années De L'Algérie Française**, Le Ffant , R. Tours.

Articles

60. Also review, Général O. MEYNIER, (1955).(Sahara et Eurafrique dans la stratégie mondiale), **in Cahiers Charles de Foucauld**, vol. 39, 3èm trimestre.
61. Bernard (Simiot), (, juillet 1951). Il faut "nationaliser" le Sahara , in **Hommes et Mondes**, n° 60
62. **Hommes et Mondes**, n°s: 60, 61, 62, 63, 64, 65, 1951
63. Etudes Sociales Nord Africaines, (septembre -octobre 1954). L'avenir humain du Sahara, **Cahiers Nord Africains** n° 41, , 51
64. Emile BELIME, (mai 1951) Avenir de l'Union Française), **in Hommes et Mondes**, Paris, n°58,
65. Emile BELIME, (1955).Gardons l'Afrique, Col. Faits et documents, Nouvelles Editions Latines, Paris.
66. **Le Monde** .14 et 15 Février. 1960.